الفتوة في الإسلام



تأليف
سعيد الديوه جي

الدار العربية للموسوعات

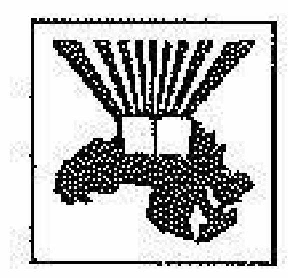
الفتوة في الإسلام

اسم الكتاب: الفتوة في الإسلام

تأليف: سعيد الديوه چي

الطبعة الأولى: ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ

ISBN 978-614-424-086-1



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٩٦١ ٠٠ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٩٦١ ٠٠
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٩٦١ ٠٠ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٩٦١ ٠٠
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

الفتوة في الإسلام

تأليف

سعيد الديوه جي

تقديم

د . أُبَيّ سعيد الديوه جي

الدار العربية للموسوعات
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

فإن تاريخ الفتوة يكاد يكون غامضاً، لأننا لم نقف على كتاب خاص يبحث عن الفتوة وتأسيسها ومؤسسها والأدوار التي مرت عليها، وما لاقته في كل دور من تشجيع أو إعراض.

وقد بقي الشيء الكثير من أمرها في طي النسيان، ومن المستبعد جداً أن يهمل مؤرخو العرب هذه الناحية المهمة، بل لا بد وأنهم قد كتبوا عنها كثيراً، ولكن الصدمات التي لاقتها البلاد العربية ذهبت بكثير من التراث العربي، فهمجية المغول ووحشية التتر في الشرق، ونيران الإسبان في الغرب قضت على مئات الآلاف من الكتب العربية.

وقد ذكر المقريزي أن سالم بن نصرالله بن واصل الحموي[1] ألّف رسالة عن الفتوة للخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٧٥-٦٢٢هـ، ومع أن هذه الرسالة متأخرة عن زمن نشأة الفتوة بقرون إلّا أنها لا تزال في طي النسيان، وربما كان نصيبها كنصيب الكتب التي أتلفت.

---

(١) السلوك في معرفة دول الملوك، ص٢١٨.

وتكلم علماء الصوفية عن الفتوة كثيراً، ولكن كلامهم كان مقصوراً على: فتوتهم الصوفية، فقد جعلوا كل الفضائل التي تقرب العبد من الله وتحببه إلى عباده هي من الفتوة، ونجدهم قد أشبعوا هذه الناحية الأخلاقية ووفوها حقها من البحث والتحقيق.

أمّا الناحية التاريخية فإنهم لم يتعرضوا لها لأن هذا ليس من اختصاص مذهبهم، فهم يتكلمون عن الفضيلة لمجرد أنها فضيلة ولا يلتفتون إلى زمن نشأتها وتطورها، وما لاقته في كل دور من أدوارها.

ولهذا كان من المتعذر على الباحث أن يقف على أول تأسيس الفتوة بالضبط أو على الأدوار المتسلسلة التي مرت بها.

وغاية ما يجده الباحث نتف صغيرة مبعثرة هنا وهناك في كتب التاريخ والأدب، ذكرت عرضاً عند ترجمة خليفة أو ملك أو أمير أو شاعر أو أديب أو كان لها صلة بحادثة تاريخية، وهذه النتف لا تساير الباحث بل إنها كثيراً ما تنقطع سنين عديدة فيقف الباحث محتاراً في أمره.

على أني معترف بتقصيري في كتيبي هذا عن الفتوة لأني لم أوَف البحث حقه، وذلك للسبب الذي ذكرته آنفاً ولعدم توافر المصادر الكثيرة لدي، ولكن - ما لا يدرك جله لا يترك كله - فقد جمعت به عنها ما وفقت إلى جمعه، فأقدمه إلى القراء الكرام، راجياً منهم أن يقبلوه على علّاته، وأن يرشدوني إلى أيّ نقص فيه خدمة للعلم وإظهاراً للحقيقة، والله ولي التوفيق.

سعيد الديوه جي

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فكتاب الفتوة في الإسلام أول كتاب يؤلفه وينشره والدي: سعيد الديوه چي - رحمة الله تعالى عليه-، وكان ذلك في سنة ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م، وطبع في المطبعة الكلدانية في الموصل، وهو من الكتب المهمة التي تتناول جانباً من التراث العربي الإسلامي والذي يعنى بالفتوة والشباب، وقد عرضنا الكتاب كما كتب دون إضافة تذكر على الرغم من قدم تأليفه.

ولم أجد النسخة المعدّلة لهذا الكتاب في مكتبة والدي، فقمت بتصحيح الأخطاء التي كانت قد حدثت بطباعة النص في المطبعة الكلدانية في الموصل، وأخرجنا الكتاب بطبعته الجديدة أملاً في إكمال كلّ ما ألّف ونشر ومن لم ينشر من مؤلفات الوالد إن شاء الله تعالى.

ومن واجبي أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العالي لكل من أسهم في إخراج العنوان هذا وبالأخص الأخ الفاضل الدكتور عبدالله الظاهر - عميد كلية العلوم الإسلامية في جامعة الموصل، والأخ الدكتور أكرم عبد الوهاب آل ملا يوسف الأستاذ في كلية التربية في جامعة الموصل، وإلى الأخ الدكتور منذر خضر المهتدي في كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة الموصل، سائلاً المولى القدير أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خير الدنيا والدين.

ومن الله التوفيق.

د. أُبَيّ سعيد أحمد الديوه چي

الفصل الأول

الفتوة وأشكالها

١ الفتى

قالوا عن الفتى: هو الشاب الحديث، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾. والفتى: السخي الكريم والكامل الجزال من الرجال، قال الشاعر:

إن الفتى حمال كل ملمة   ليس الفتى بمغملج الصبيان

والفتى هو الشاب القوي، والشجاع المقدام من الرجال، قال الشاعر[١]:

ألا لله دَرّك من   فتى قوم إذا رهبوا
وقالوا من فتىً للحر   ب يرقبنا ويرتقب
فكنتَ فتاهمُ فيها   إذا تُدعى لها تثبُ

وهو من الفتوة، ويقال: فتى بيِّن الفتوة وهي الحرية والكرم.

قال عبد الرحمن بن حسان:

يا عز هل لك في شيخ فتى أبداً   وقد يكون شباب غير فتيان

---

(١) نهاية الإرب، ج٤، ص٢٨٢.

وصاحب الفتوة يقال له فتى، ومنه: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي». قال الشاعر:

فإن فتى الفتيان من راح واغتدى لضر عدو أو لنفع صديق[1]

أمّا الصوفية فقد ذهبوا مذاهب كثيرة في معنى الفتى، وكلها تدل على الفضائل والمكارم. قال أبو بكر الوراق: «الفتى من لا خصم له». وقال محيي الدين بن عربي: «من آثر أمر ربه على هوى نفسه فهو الفتى». وقال أيضاً:

إن الفتوة ما ينفك صاحبها مقدماً عند رب الناس للناس
إن الفتى من له الإيثار تحلي فحيث كان فمحمول على الراس
ما إنْ تزلزله الأهوا بقوتها لكنه ثابت كالشامخ الراس
لا حزن يحكمه لا خوف يشغله عن المكارم حال الحرب والباس
انظر إلى كسره الأصنام منفرداً بلا معين فذاك اللين القاسي[2]

٢ الفتوة

قالوا عنها: هي الحرية والكرم، وقال البيروني: «الفتوة بشر مقبول ونائل مبذول، وعفاف معروف، وأذىً مكفوف»[3]. وسئل أحدهم عن الفتوة فقال: «فضيلة تأتيها ولا ترى أنك فيها».وقال أبو حيان التوحيدي: «الفتوة طهارة الحد والطراوة في كل حال مباشرة، لأنها متى فقدت جاءت الخلوقة والرثاثة»، ومن ذلك سمي الفتى فتى، والفتيُّ فتياً، لأن الكرم والمجد والجود والعفة والنجدة وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال

---

(١) انظر مادة فتى في المحيط وتاج العروس وأساس البلاغة والصحاح ولسان العرب.
(٢) الفتوحات المكية، ص٢٢٢.
(٣) الجماهر في معرفة الجواهر، ص١٠.

الفضل والخير غضّة في كل زمان، طرية في كل مكان، كان الطاهر بها والمطهر لها والمؤثر لأحكامها والمجدد لرسومها «فتى». وصاحب «فتوة»[١].

وسأل شقيقٌ البلخي، جعفر بن محمد[٢]، عن الفتوة فقال: ما تقول أنت؟ قال شقيق: إن أعطينا شكرنا، وإن «منعنا صبرنا». قال جعفر: «الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل»، فقال شقيق: «يا ابن بنت رسول الله ﷺ ما الفتوة عندكم؟» فقال: «إن أعطينا آثرنا وإنْ منعنا شكرنا»[٣].فقد جعل الفتوة الإيثار وهو أسمى ما يتصف به الفتى، وقد تابعه على هذا كثير من العلماء المتصوفة كالغزالي في الإحياء[٤]، وابن عربي في الفتوحات حيث يقول: «الفتوة أن تخرج عن حظ نفسك إيثاراً لحظ غيرك، لا تخرج عن حظ غيرك إيثاراً لحظ غيرك فهذا ليس من الفتوة، ولو كان من الفتوة هذا ما صح لها وجود».وقد جعل ابن عربي من الفتوة: «أن الله خلق الأشياء من أجلنا إيثاراً لنا على انفراده»[٥].

كما عرفها الجرجاني بتعريف ينطبق على ما ذهب إليه ابن عربي فقال: «الفتوة أن تؤثر الخلق على نفسك في الدنيا والآخرة»[٦].

وذهب بعضهم إلى أن الفتوة هي المروءة ولكن الوشّاء جعل المروءة الطريق الموصل إلى الفتوة[٧].

---

(١) المقابسات، ص٢٦٦.

(٢) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين عليه السلام.

(٣) الرسالة القشيرية، ص١٠٤.

(٤) ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٥) ج٢، ص٢٣٢.

(٦) تعريفات الجرجاني، ص١١٠.

(٧) الموشى، ص٢٣.

وكذا أبو حيان التوحيدي فإنه جعل المروءة شعبة من الفتوة فقال: «المروءة أشد لصوقاً بباطن الإنسان، وأمّا الفتوة فهي أشد ظهوراً من الإنسان، فكأن الأولى أخص والثانية أعم، أي لا فتوة لمن لا مروءة له، وقد يكون ذا مروءة ولا فتوة له»[١]. وتابعة في هذا البيروني حيث يقول: «ترويحة المروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وماله، والفتوة تتعداها وإياها إلى غيره»[٢].

وإن تعريفات المتصوفة للفتوة لم تخرج عن دائرة مكارم الأخلاق، فبعضهم من حصرها في فضيلة أو أكثر[٣]، والبعض الآخر جعلها مرادفة لمكارم الأخلاق أجمع.

وقد سئل أحدهم عن الفتوة فقال: «هي الالتزام بمكارم الأخلاق وتفويض الأمر إلى الخلّاق» ويقول التستري: «الفتوة عبارة عن مكارم الأخلاق»[٤].

وأن بعضهم عرفها تعريفات شاملة، تكاد أن تشمل نوعي الفتوة - الفروسية والصوفية - فقال أحدهم[٥] الفتوة بذل المجهود في رضا المعبود، والإعراض عن الأكوان في رضا الرحمن، والغيرة على الحق، والقيام فيما وجب له من حق، مع ترك الالتفات في ذلك إلى الخلق، والتخلق بالأخلاق الجميلة، واجتناب كل رذيلة، والقيام بحقوق الإخوان بحسب الطاقة والإمكان متابعاً في ذلك كله المصطفى ﷺ».

---

(١) المقابسات، ص٢٦٧.

(٢) الجماهر في معرفة الجواهر، ص١٠.

(٣) الرسالة القشيرية، ص١٠٢-١٠٥.

(٤) مباحث عربية، ص٥٢.

(٥) الحجة والبرهان.

وقال آخر: «الفتوة حطام موضوع، وأذى مرفوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفاف معروف، واجتناب للقبيح، وأدب ظاهر، وخلق طاهر، وترك مجالسة أهل الشرور، والسمو إلى معالي الأمور، والإحسان إلى من أساء، ومكافأة من أحسن، وقضاء حوائج الناس، فهذه جملة من زيهم في حسن مناقبهم، ومستحسن جميل مذاهبهم»[١].

٣ أشكال الفتوة

• فتوة الفروسية

هذا النوع من الفتوة أشبه ما يكون بنظام الفرسان الذي ظهر - بعدها في أوربا في القرون الوسطى، وذلك لما بين الفتيان من التآخي والتكاتف ومساعدة المرأة والضعيف، وإنصاف المظلوم، والضرب على يد الظالم، والإيثار والتسابق إلى كل فضيلة ومكرمة، ولهذا فقد آثرنا أن نسمي هذا النوع منها: بفتوة الفروسية.

وهؤلاء الفتيان يرجعون بفتوتهم هذه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - مستندين في هذا على الحديث النبوي الشريف: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلاَّ علي»[٢] والمراد بالفتى هنا: الفارس الشجاع المقدام، وذلك لأنه - كرّم الله وجهه - كان مشهوراً بالفروسية والشجاعة والإقدام[٣]، وأن الرسول ﷺ أثنى عليه بهذا في وقعة أحد إثر ما أبداه من الشجاعة والبطولة الفائقة.

ولقد بحثنا في نشأة الفروسية بوصفها نظاماً فلم نقف على مبدأ تأسيس هذا النظام بالضبط، غير أنا عثرنا على نصوص ترجع إلى ما قبل

---

(١) الموشى، ص٢٣.

(٢) الرياض النضرة، ج٢، ص١٦٠.

(٣) الإصابة، ج٤، ص٢٦٩.

الإسلام، منها[(١)]:

وليس فتى الفتيان من جل همه صبوح وإن أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا لضر عدو أو لنفع صديق[(٢)]

وقول آخر:

إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة فما كبهم يدّعي ولكنه الفتى[(٣)]

وهناك نصوص أخرى ترجع إلى القرن الأول الهجري، فيها إشارة إلى مثل هذه الفتوة، منها أن المصطفى ﷺ قال ذات يوم وهو نشيط: «أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى»، فقوله: أنا الفتى يعني فتى العرب، وقوله ابن الفتى يعني إبراهيم الخليل عليه السلام من قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ ، وقوله أخو الفتى يعني علياً، وقوله ﷺ أيضاً: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ»، وقول أبي العباس الأعمى لعمر بن أبي ربيعة:

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع[(٤)]

وجاء في مسالك الأبصار[(٥)]: أن الحجاج غضب من هند بنت النعمان، فأمر بإخراجها من ديرها القريب من الكوفة، فأخرجت ومعها ثلاث جوار من أهلها، فقالت إحداهن:

خارجات يسقن من دير هند معلنات بذلّه وهوان
ليت شعري أول الحشر هذا أم محا الدهر غيرة الفتيان

---

(١) انظر ج٤، ص٢٦٦، ٢٩٦، الحماسة، ج٢، ص٢١٤.
(٢) الحماسة، ج٣، ص٢٠٧.
(٣) الحماسة، ج١، ص١٠٥.
(٤) الأغاني، ج١٥، ص٦٢.
(٥) ص٣٢٤-٣٢٥.

فشدّ فتى من أهل الكوفة على فرسه، فاستنقذهنّ من رسل الحجاج، وتغيب، فبلغ الحجاج شعرها وفعل الفتى فقال: «إنْ أتانا فهو آمن، وإنْ ظفرنا به قتلناه»، فأتاه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الغيرة، فوصله وخلاه.

ومن هذا نرى أن الجارية استفزت غيرة الفتيان، وقد نالت من فتى ما أرادت، فإنه جازف بنفسه، وخلصهن من رسل الحجاج، وكان الذي دفعه إلى هذا هو: الغيرة.

وجاء عن الإمام زين العابدين رضي الله عنه (٣٨-٩٤هـ) أنه كان صاحب فتوة وكرم[١]، كما أن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه كان ممن تكلموا عن الفتوة[٢]، ونحن لا نجزم أن الفتوة كانت نظاماً متبعاً في القرن الأول الهجري وما قبله، فإن هذه النصوص لا تصرح بذلك[٣]، وإنما نرجح أن الفتوة نشأت - إذ ذاك - كفكرة سامية ترمي إلى مكارم الأخلاق وحميد الخصال، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني للهجرة، وفي هذا الدور تظهر لنا الفتوة بصفتها مبدءاً سامياً له تعاليمه وأنظمته وزيه وألعابه الخاصة به.

أما مؤسسها فإننا لم نعثر على نص يهدينا إليه، ولكن نرجح أن يكون العلويون هم الذين أسسوا هذا المبدأ السامي وما يرمي إليه من الأهداف والتعاليم القويمة، وأدلتنا على ذلك هي:

★ **أولاً**: أن الفتوة ترجع إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فقد جعله الفتيان فتاهم الأكبر ومثلهم الأعلى الذي

---

(١) روض الرياحين في حكايات السلاطين، ص٥٢.

(٢) انظر مادة فتى في تاج العروس.

(٣) هناك نصوص غير التي ذكرناها، راجع: الأغاني، ص١٦٥، وج٤، الأغاني، ص١٨١-١٨٢، أمالي السيد، ج٢، ص١٨، الكامل للمبرد، ج٢، ص١٦٤.

يهتدون بنوره، وكان العلويون يعتبرون أنفسهم الممثلين الحقيقيين للفتوة التي ورثوها عن جدهم الأكبر[١] علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ولهم بذلك سند يرجعون به فتوتهم إليه[٢].

★ ثانياً: إن سراويل الفتوة عند الفتيان تقوم مقام الخرقة عند المتصوفة، وهم يرجعون هذه السراويل إلى أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - ولهم بهذا سند إليه[٣]، وإذا كان المتفتي خليفة أو أميراً فإنه كان يلبسها بمشهد أمير المؤمنين - كرم الله وجهه -[٤].

★ ثالثاً: إن أقدم من تكلم عن الفتوة هو: الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه (٨٠-١٤٨هـ)، ولم نعثر على أحد تكلم قبله عن هذا المبدأ السامي.

★ رابعاً: إن الفتيان الآخية[٥] في آسيا الصغرى كانوا يعظمون يوم عاشوراء ويقيمون احتفالاً عظيماً فيه، فيطبخون الأطعمة، ويدعون أعيان الدولة وعامّة الناس ليفطروا عندهم[٦]، وبهذا تظهر لنا صبغتها العلوية.

ولم نجد لهذا المبدأ أي صبغة سياسية لأننا لم نعثر من تعاليمه وأنظمته ما يدعو إلى ذلك، إنما نجد التعاليم والأنظمة كلها اجتماعية وأخلاقية تدعو إلى تهذيب الإنسان وجعله إنساناً كاملاً.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة فتوة.

(٢) الجامع المختصر، ص٢٦٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الحوادث الجامعة، ص٢٥٧.

(٥) فتيان الآخية: أي الجماعة التي تربطها ببعضها ذمّة وحرمة أخذت (الآخية) من العروة التي تشد إليها الخيول خاصة.

(٦) ابن بطوطة، ج١، ص١٩٦.

● فتوة العيارين

انتشرت الفتوة في القرن الثاني للهجرة بين معظم الطبقات، وصار للفتى منزلة ممتازة، ومن بين الطبقات التي اختصت بها: العيارون، فقد لاقت الفتوة منهم إقبالاً حسناً، وغلب عليهم أمر الفتوة، فكان يقال: فلان الفتى العيار(١).

وفي القرن الثالث الهجري ضعفت الدولة العباسية، وتنازعتها الأهواء والنحل، واستبد بشؤونها المتنفذون، وصارت ألعوبة بيد الأمراء والقواد، مستغلين هذا الضعف والارتباك، ونشأ في بغداد طبقات منحطة، كان من شأنها إثارة الشغب والاضطرابات، ولمّا رأى العيارون هذا وما هم عليه من القوة والجموع الكثيرة واحتياج أرباب الدولة إليهم في كثير من الأحيان، حاولوا أن يذللوا أرباب الدولة لمقاصدهم وسلكوا طريقة سيئة، واستغلوا اسم الفتوة لمصالحهم، وأخذوا يسترون أطماعهم الفاسدة ونواياهم الخبيثة تحت هذا المبدأ السامي ليبرروا ما يأتونه من المنكر، فكانوا يعيثون في الدولة، فيجيبون كل ناعق، ويلبون كل داع إلى حركة فوضوية، يبغون وراء ذلك النفع المادي الذي ينالونه.

وفي القرن الرابع الهجري وما بعده استفحل أمرهم، فأخذوا يفرضون الضرائب على الشعب ويجبونها على مرأى من رجال الدولة وولاة الأمور، بل ربما فرضوها على بعض رجال الدولة(٢)، وكان كبير العيارين يتولى أمر تفتي من أراد الانتماء إلى هذه الفتوة، وتبع العيارين في هذا غيرهم من الطبقات المنحطة، كالشطار والدعار، فكانت فتوتهم تشابه

---

(١) الطبري، ج١، ص١٨٢، الرسالة القشيرية، ص١٠٤.

(٢) الأوراق، ب ص١١٩، ١٢٠، ٢٦٢، النجوم، ص١٠٧، تجارب الأمم، ج٢، ص٢٦٧، تجارب الأمم، ج٣، ص٢٦١، ابن الأثير، ص٢٦.

هذه الفتوة، وانتشر شر هذه الطبقات في كثير من البلاد يفسدون فيها باسم الفتوة ويعكرون صفو الأمن العام.

إن فتوة العيارين فتوة مزيفة، لأنهم شوهوا سمعة فتوة الفروسية بأفعالهم القبيحة التي كانوا يفعلونها باسم الفتوة، فيغصبون أموال الناس ويفرضون الضرائب، ويهتكون المحارم، ويقطعون الطرق إلى غير ذلك من الأفعال السيئة، وكانوا يرون من الفتوة أن يتحمل الإنسان الضرب الشديد دون ضجر، وربما فقد أحدهم عضواً من شدة الضرب، وهو لا يتأوه بل يتحمله بصبر وثبات.

وربما حلف أحدهم بحق فتوته ممتنعاً عن الأكل والشرب أياماً، فلا يأكل ولا يشرب[١]، وإلى غير ذلك من الأمور التي لا تتصل مع فتوة الفروسية بشيء.

وكان لهم رؤساء يتولون أمر التفتي ونقابة فتوتهم هذه، وصار لبعض هؤلاء الرؤساء سلطة كبيرة، وأخذ الناس وأرباب الدولة يتقربون إليهم ويخشون بأسهم.

وقد ظهر تذمر القوم وانتقادهم هذه الفتوة المزيفة على أقلام الأدباء ورجال الدين، وعقدوا الفصول في نقد هذه الفتوة التي لا تمت إلى الفضيلة بصلة[٢]، وبقيت فتوتهم هذه منتشرة بعد سقوط الدولة العباسية.

● الفتوة الصوفية

اقتبس المتصوفة فكرة الفتوة في القرن الثاني وأدخلوها في تعاليمهم الأخلاقية، وجعلوها مثلهم الأعلى في الحياة، وكانوا يريدون بها مكارم الأخلاق.

---

(١) تلبيس إبليس، ص٢٩٢.

(٢) الإمتاع، ص١٦-١٨، تلبيس إبليس، ص٢٩٣.

وقد عقدوا لها الفصول الطوال في كتبهم، وأفردوا لها باباً من أبواب الأخلاق، فجعلوا باباً للفتوة، كما جعلوا للمروءة والشجاعة والكرم وغير ذلك من الأبواب الأخرى، وبعضهم من ألّف الكتب المستقلة عنها، وقد ذكر الدكتور بشر فارس أن في مكتبة أيا صوفيا في استانبول في تركيا كتاب الفتوة الصوفية، تأليف التستري السلمي، وكتاب الفتوة لأخي أحمد المحب ابن الشيخ محمد بن ميخائيل الأربلي، ولكن المتصوفة لم يلبسوا سراويل الفتوة الفروسية، ولم يمارسوا ألعابها، إنما استعاضوا عن السراويل بالخرقة التي يلبسها المتصوف من شيخ طريقته، والتي ترجع بسندها إلى المؤسس لتلك الطريقة، فينالها المتصوف بعد جهد كبير وصبر طويل، كما استعاضوا عن ألعابها برياضة النفس وضبط الجوارح والمجاهدة والخلوة والفناء في حب الله عزّ وجلّ، قال البستي[١]:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... فيه وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافى فصوفيَ حتى لقب الصوفي

● الفتوة المجونية

وهناك نوع رابع من الفتوة، وهو ليس بنظام ولا مبدأ، وإنما أطلق هذا اللفظ في القرن الأول الهجري وما بعده على الشباب المياسير الذين يميلون إلى الشرب والسماع واللهو، وكانت الدور الجاهلي كثيراً ما تندمج في فتوة الفروسية، كفتوة طرفة[٢] والأعشى[٣].

أما في القرن الأول الهجري وما بعده فقد انفصلت هذه الفتوة عن فتوة الفروسية، ذلك أن الإسلام حرّم الخمر والمجون واللهو، فلم تعد

---

(١) خاص الخاص، ص٥٨.

(٢) جمهرة، ص١٢٨، ١٤١.

(٣) خاص الخاص، ص٧٨.

هذه الصفات من أخلاق الرجل الكامل، إنما كانت تعد من المثالب التي تحط من قيمة صاحبها، فقد ذكر ابن قتيبة: «أن الوليد بن عثمان بن عفان كان صاحب فتوة وشراب»[١]، وأن جعفر بن الزبير كان من فتيان قريش وكان ذا غزل[٢]، وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم[٣]، وأن أبا الهندي كان منهمكاً على الخمر مغرماً بالشرب، ودخل حانة خمّار فشرب عنده إلى أن غلب عليه السكر فنام، ودخل جماعة فتيان فرأوه على تلك الحالة فقالوا للخمار: ما حال هذا؟ قال: طيب العيش، قالوا: فألحقنا به، فسقاهم حتى انتهوا إلى حاله، فانتبه أبو الهندي فرآهم فقال للخمار: ما حال هؤلاء؟ فقال: مبسوطون، قال: فألحقني بهم، فسقاه حتى لحق بهم، وانتبهوا فقالوا له مثل ذلك إلى أن مضت عليهم عشرة أيام ولم يلتق بعضهم ببعض، ثم أنشد أبو الهندي في ذلك أبياتاً أولها:

ندامى بعد عاشرة تلاقوا تضمهم الفتوة والسماح[٤]

وبعد وفاته كان الفتيان يجيئون إلى قبره ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره[٥]، وجاء عن حانة عون: «وكان فتيان الكوفة يشربون في حانوته و........»[٦].

لقد ساعد على تفشي مثل هذه الفتوة في الدولة العباسية الترف والنعيم واختلاط العرب في كثير من الأمم، فإن والبة بن الحباب

---

(١) المعارف، ص٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص٩٧.

(٣) الأغاني، ج٦، ص٩٩.

(٤) حلية الكميت، ص٢٢.

(٥) الأغاني، ج٢، ص١٦٧.

(٦) مسالك الأبصار، ص٢٨٩.

الأسدي هو الذي ربّى أبا نؤاس وأدبه وعلمه الفتوة وقول الشعر[١]، من ذلك ما قال أبو نؤاس:

ما استكمل اللذات إلّا فتى … يشرب والمرد نداماه

هذا يغنيه وهذا إذا … ناوله القهوة حياه[٢]

وقد وصف عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع حال هؤلاء الفتيان الذين كانوا يعاشرونه فقال[٣]:

في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا … وأنفقوا في التصابي العرض والنشبا

فإن فتوة هؤلاء كانت فتوة مجونية مقتصرة على اللهو والملذات، فلم يكن اجتماعهم على فضيلة أو مكرمة، إنما كانت تجمعهم الملاهي والعبث والترف والسماع، وقد ذمّ قيس بن عاصم المنقري مثل هؤلاء الفتيان فقال[٤]:

ترى الفتيان كالنخلْ … وما يدريك ما الدخلْ

وكلٌّ في الهوى ليث … وفيما نابه فسلْ

وليس الشأن في الوصل … ولكن إن يرى الفضل

وبعد فلم نقف من أمر الفتوة هذه على أكثر مما قدمناه وهي: أنها فتوة لهو وشرب وعبث ومجون، تضم فئة من أولاد المياسير العاطلين عن الأعمال ومن كان على شاكلتهم، قد ركنوا إلى الملذات يبغون بذلك

(١) نهاية الأرب، ج٤، ص٩٤.

(٢) حلية الكميت، ص٦، ٦٧، الرسالة القشيرية، ص١٣، الأغاني، ج٦، ص٣١، ١٠٣، الأغاني، ج٤، ص٦٤، ١٨٥، الأغاني، ص١٧، خاص الخاص، ص١٠١.

(٣) معجم البلدان، ج٤، ص١٦٥.

(٤) البيان والتبيين، ج٣، ص١٥٨.

إرضاء شهواتهم، وهي تخالف الفتوتين: الفروسية والصوفية، لأن لكلٍّ منهما مبدأ متبع له أنظمته وتقاليده، أمّا هذه الفتوة المجونية فلم نجد لها شيئاً من ذلك.

الفصل الثاني

فتوة الفروسية

امتازت فتوة الفروسية في القرن الثاني الهجري بأن أصبحت أشبه ما تكون بجمعية منظمة لها تعاليمها وأزياؤها وألعابها الخاصة بها، وانتشرت انتشاراً كبيراً بين جميع الطبقات، وصارت المثل الأعلى للإنسان في حياته.

وفي أواسط القرن الثالث الهجري وما بعده استغل العيارون أمرها، فلبسوا سراويلها وأتوا القبائح والمنكرات باسم الفتوة، وهذا مما أثر على سيرها، حيث أخذ كثير من الناس يتجنب أن يظهر بها خشية أن يلحقه من العار ما لحق العيارين.

وتغلبت فتوة العيارين عليها، وانتشرت في طول البلاد وعرضها، حتى أن بعض الناس أخذ ينتسب إلى العيارين في فتوتهم لا حباً بها، إنما ليأمن شرهم ويتجنب أذاهم، وهكذا فقد جنى العيارون على فتوة الفروسية جناية كبيرة، فتقلص ظلها، وأخذت بالتقهقر حتى أوائل القرن السابع الهجري[1]، وكاد العيارون أن يقضوا على هذه الفتوة السامية بفتوتهم المزيفة لولا أنْ قيّض الله لها الخليفة الناصر لدين الله العباسي الذي انتشلها وأعادها إلى سيرتها الأولى.

---

(١) تلبيس إبليس، ص٢٩٢، الإمتاع والمؤانسة، ص١٦-١٨.

وكان يشترط على من يريد الانتماء إلى فتوة الفروسية ما يأتي:

١ • أن يتمسك الفتى بكل فضيلة ومكرمة ويتجنب كل ما من شأنه أن يحط من كرامة الفرد، وقد بين أحدهم ما يجب على الفتى فقال:[(١)] الفتوة العقل والحياء، ورأسها الحفاظ، وزينتها الحلم والأدب، وشرفها العلم والورع، وحليتها المحافظة على الصلوات وبر الوالدين وصلة الرحم وبذل المعروف، وحفظ الجار، وترك الكبر، ولزوم الجماعة والوقار، وغض الطرف عن المحارم، وبذل السلام، وبر الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيه، وصدق الحديث، واجتناب الحلف والأيمان، وإظهار المودة، وإطلاق الوجه، وإكرام الجليس، والإنصات للحديث، وكتمان السر، وستر العيوب، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، والوفاء بالعهد، والصمت في المجالس من غير عي، والتواضع من غير حاجة، وإجلال الكبير، والرفق بالصغير، والرأفة والرحمة للمسلمين، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وكمال الفتوة، والخشية لله ﷻ، فينبغي للفتى أن تكون فيه هذه الخصال، فإذا كان ذلك كان فتى بحقه». وكانوا يرون من الفتوة أن يقدموا المساعدة لكل بائس، وإجلال المرأة والشفقة بالحيوان، وأخبارهم في هذا كثيرة[(٢)].

قال ذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـ: «لمّا حملت إلى الخليفة المتوكل فيما نسب إليّ من الزندقة، رأيت سقاءً عليه عمامة وهو مترد بمنديل مصري، وبيده كيزان خزف رقاق، فقلت: هذا ساقي السلطان؟

---

(١) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص١٢٠.

(٢) انظر المكارم والمفاخر، ص١٠٢-١٠٥، الفتوحات، ج٢، ص١٢١-١٢٥، الإحياء، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

فقالوا: لا، هذا ساقي العامة، فأخذت الكوز وشربت وقلت لمن معي أعطه ديناراً، فلم يأخذ وقال: أنت أسير وليس من الفتوة أن نأخذ منك شيئاً».

ومما جاء عن احترامهم المرأة أنه خرج إنسان يدعي الفتوة من نيسابور إلى نَسا[١]، فاستضافه رجل ومعه جماعة من الفتيان، فلمّا فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم، فانقبض النيسابوري عن غسل اليد وقال: ليس من الفتوة أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال، وأنه فعل هذا تكريماً للمرأة وانتصاراً لها، لأنها استخدمت في مثل هذا العمل الذي لا يليق أن تقوم به.

وعلى الفتى أن لا يربح من صديقه، إذ ليس من الفتوة أن تربح من صديقك[٢]، ومن تكلم بكلام فاحش فإنه لم يقض حق الفتوة[٣]، وأن ركن الدولة ابن بويه نصر كثيراً من الملوك المظلومين الذين اغتصبت أملاكهم ظلماً وعدواناً وهو لم يرج من أحدهم مدحاً أو نفعاً، إنما فعل ذلك طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة[٤].ومن كمال المرء أن يتصف بأخلاق الفتوة[٥]، وهكذا فقد حصروا المكارم في الفتوة وجعلوها الطريق التي تجعل من المرء إنساناً كاملاً.

قال البيروني: ترويحة المروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وماله، والفتوة تتعداه وإياها إلى غيره، والمرء لا يملك غير نفسه وقنيته

---

(١) نسا: اسم مدينة

(٢) القشيرية، ص١٠٤.

(٣) الإمتاع والمؤانسة.

(٤) ابن مسكويه، ج٢، ص٢٥٠، ابن الأثير، ج٨، ص٢٣٥.

(٥) لباب الأداب، ص٢٠، المقابسات، ص١٠٧.

التي لا ينازع فيها أنها له، فإذا احتمل مغارم الناس وتحمل المشاق في إراحتهم ولم يظن بما أحلّ الله له وحرمه على من سواه - فهو الفتى الذي اشتهر بالقدرة عليها، وعرف بالحلم والعفو والرزانة والاحتمال والتعظيم وبالتواضع - ترقى إلى العلياء وإنْ لم يكن من أهلها وسود باستحقاق لا عن خلود دار.

ولهذا حدّث: الفتوة بأنها بشر مقبول، ونائل مبذول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف، وقد توسل إلى إسماعيل بن أحمد الساماني - أحد أخلاف أهل البيوتات بآبائه - فوقع في كتابه: «كن عصاميّاً لا عظاميّاً».

وربما أفرط الفتى فتجاوز إفراط إيثار الغير على الملك إلى بذل النفس أَنَفَةً من تحمل العار، أو دفعاً للظلم، وحفظاً لحق الجوار.

إما بالبسالة - كالمذكورين في صعاليك العرب - فمنهم من فدوا أضيافهم والمستجيرين بهم أنفسهم. . . . . . . وإمّا بالكرم والسماحة - كحاتم الطائي الذي غرر بنفسه في هبة الرمح لخصمه - وقد أشفى على الهلاك، وككعب بن مامة الأيادي بإيثار القرين بحصته من الماء المقسوم بالحصى، إذ قال: اسق أخاك النميري بحصته، فسقاه إيّاه حتى هلك - والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وليس فتى الفتى من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضر عدو أو لنفع صديق

فإن مرارة الأحرار تأبى الاعتزال وتبعث على التصون من الابتذال، فيظهر السعة ويخفي الضيق ما أمكن، حتى يحسبهم الجاهل بأحوالهم أغنياء من التعفف، لما يراهم عليه من التوسعة في النفقة والنظافة في البدن والنقاء فيما جاوره من الشعار، وإشراك الغير فيما رزقه الله، ولم

يحرمه من غير امتنان ولا قهر لأجله على امتهان[١].

- ٢ على الفتى أن يلبس سراويل خاصة عليها صورة كأس الفتوة، وللفتيان سند يوصلون به سراويلهم هذه إلى أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - ويعتقدون أن رسول الله ﷺ ألبس علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لباس الفتوة، ثم أمره أن يلبس من شاء، ويدّعون أن هذا اللباس أنزل على الرسول ﷺ في صندوق، ويؤولون الآية الكريمة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ بأن المراد باللباس هنا هو لباس الفتوة[٢] وكيفية ترسيم الفتى وإلباسه هذه السراويل: «أن يجتمع الفتيان بألبستهم في محل لهم، ويقدم الشخص المراد تفتيته إلى نقيب الفتوة، فينزعه لباسه الذي عليه ويلبسه سراويل الفتوة بيده، ثمّ يشرب الفتى كأس الفتوة، ويشرب له الفتيان، والشربة هي: ماء وملح[٣]، وبعد هذا يحق للفتى أن يلبس هذه السراويل متى شاء، على أنّ من كانت فتوته وراثية فإن له الحق أن يرث سراويل الفتوة عن آبائه أو أن يصور على كتفيه كأس الفتوة، أو أن يرثهما معاً، ويظهر أن هذا كان خاصّاً بالعلويين المؤسسين لهذا النظام، وقد اعتبروا أنفسهم الوارثين له عن جدهم الأكبر أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه»[٤].

وإذا كان المتفتي خليفة أو وجيهاً فإنه يلبس هذه السراويل بمشهد أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه -، تكريماً للمتفتي وتبجيلاً،

(١) الجماهر، ص١٠-١٢.

(٢) الجامع المختصر، ص٢٦٠.

(٣) الجامع المختصر، ص٢٦٠.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة فتوة.

فهم يقصدون بهذا كأن المتفتي يلبس سراويله هذه من أمير المؤمنين - كرم الله وجهه-، كما فعل الخليفة المستنصر بالله العباسي[١].

• ٣ على الفتى أن يمارس ألعاب الفتوة كالحمام المناسيب، ورمي البندق والصيد وغير ذلك من الألعاب الخاصة بهم، وإذا قام المتفتى بما شرط عليه فإنه يعطى له «**عهد الفتوة**»[٢]، وهو أشبه ما يكون **بالإجازة** التي يعطيها المدرس لأحد تلاميذه عندما يجيزه بعلم أو عدة علوم، وهذا العهد يتمثل بورقة يكتب بها تسلسل الفتوة من أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - **إلى نقيب الفتوة** في ذلك العصر[٣].

وكان نقيب الفتوة هو المرجع الأعلى للفتيان في أمورهم، ويتبع النقيبَ **الزعماءُ**، ويتبع كلّ زعيم عددٌ من **رؤساء الأحزاب**، ولكل رأس حزب **جماعة من الفتيان** تنتمي إليه، وللنقيب سلطة واسعة، وهو الذي يصدر الأنظمة والتعاليم التي تكون لصالح الفتيان، كما كان يحذرهم من الأمور التي لا تليق بهم، ومن خالف النقيب في شيء من هذا تهدر فتوته، وهذا أكبر عقاب كان يخشاه الفتى.

وللفتيان نوادٍ خاصة يقصدونها وقت فراغهم، ويجتمعون بها ويتبادلون الأخوة والمحبة، كما كانت تقام بها حفلاتهم، وللنادي رئيس يسمى: رأس الحزب، وهو من الفتيان الذين ثبتت كفاءتهم وإخلاصهم.

---

(١) الحوادث الجامعة، ص٢٥٧.

(٢) أدبيات اللغة، ج٢، ص٢٨٢.

(٣) السلوك، ص٤٥٩-٤٦٠، ٤٩٥-٤٩٧.

وهناك بعض ألقاب عثرنا عليها أثناء البحث مثل: أبو الفتيان[1] وفتى الفتيان، وقاضي الفتيان، وفتى العسكر، فلا ندري فيما إذا كانت هذه ألقاب عامة كانت تمنح للفتيان البارزين، أم أنها ألقاب خاصة منحت لأشخاص معينين.

---

(١) ابن خلكان، ج٢، ص١٠، المتنبي، ج١، ص٦٤، البخلاء، ص٧١، أوراق، ص٣٢.

الفصل الثالث

الخليفة الناصر لدين الله العباسي والفتوة

٥٧٥هـ-٦٢٢م

❶ عصره وسيرته[١]

استلم الناصر مقاليد الحكم، والخلافة العباسية في منتهى الضعف والانحطاط، فقد استقل ملوك الأطراف والأمراء والسلاطين ونزعوا كل حق كان للخليفة، ولم يعترفوا له إلّا بالخطبة والسكة - على أن بعضهم قد أنكر هذا - ومملكة الخليفة لا تتجاوز بغداد وبعض المدن العراقية، وسلطة الخليفة في هذه الدولة الصغيرة محدودة، والأمر والنهي بيد الأمراء والوزراء وقواد الجيوش، وهؤلاء قد أشغلوا الخليفة بالصيد والملاهي ليتفرغوا هم للحكم.

ولكن الناصر لم يكن بالخليفة المستضعف ليرضى من الخلافة باسمها، إنما كان من أقدر الخلفاء العباسيين الذين باشروا الخلافة بأنفسهم، فقد كان حازماً يقظاً، صاحب فكر صائب ودهاء ومكر، وأنه لم يعتمد على أحد في أموره، إنما باشرها بنفسه، وضرب على أيدي

---

(١) ما هو يأتي من: الفخري، ص٢٢٢، السلوك، ص٢١٧، ابن خلدون، ج٢، ص٥٢٠-٥٢٣، شذرات الذهب، ج٢، ص٨، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٣٢، الحيوان للدميري، ج١، ص١٢٥، أبو الفدا، ج٣، ص١٢٦، ابن الأثير، ج١٢، ص١٨٠، نكت الهيمان، ص٩٣.

الطغاة والمستبدين، وأخذ يتفقد شؤون رعيته بنفسه، ليطّلع على مواضع الضعف والفساد فيها، فكان يشق الدروب في الليل ليقف على أخبار الرعية وما يدور بينهم، كما نشر جواسيسه في معظم البلاد الإسلامية ليطالعوه بجزئيات الأمور وكلياتها، فكان لا يخفى عليه أكثر الأخبار، حتى أن أهل العراق كان يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع امرأته لما يظن أن ذلك يطلع عليه الخليفة، فيعاقب عليه.

واطلع بواسطة جواسيسه على أخبار الملوك والسلاطين وما يدور بينهم، وكان هؤلاء يتحاشونه ويخافون بأسه، واعترفوا له بكثير مما أنكروه على أسلافه، واسترجع كثيراً من البلاد مثل: خوزستان وأصبهان والري وهمدان، ولم يزل الناصر مدة حياته في عزّ وجلالة وقمع الأعداء والاستظهار على الملوك لم يجد ضيماً ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه، ولا مخالف إلا دمغه، وخطب له بالصين والأندلس فكان أسد بني العباس.

ويعدّ من علماء زمانه المعدودين، صنّف كتباً وسمع الحديث وأسمعه وأجاز فيه، وبنى دار الكتب بالمدرسة النظامية، ونقل إليها عشرة آلاف مجلد، فيها الخطوط المنسوبة وغيرها، وله تآليف في فنون متعددة.

وجد الناصر الشعبَ منهمكاً بالملاهي والملذات، معرضاً عن الفضائل والمكرمات، والعمل النافع، فعزم على أن يستأصل هذا الفساد من الشعب، فأمر بإراقة الخمور، وكسر الملاهي التي أشغلت الشعب، فالتفت الناس إلى أشغالهم، وكثرت الأرزاق وعمّرت البلاد، وقصد الناس بغداد.

أما الناحية العمرانية فكان نصيبها منه كنصيب غيرها، فكان له من المبار[1] والوقوف ما يفوق الحصر، وبنى من دور الضيافات والمساجد والربط ما يتجاوز حد الكثرة.

---

(١) المبار: جمع مبرّة وهي المكان الذي يُبر به المحتاجون كالملاجئ والمصحّات.

وكان الناصر يتشيع ويرى رأي الإمامية، ولعل هذا كان من أحد الأسباب التي جعلته يشغف بنظام الفتوة ويهتم بها اهتماماً متزايداً، فبعثها من جديد بعد أن أزال عنها المخازي التي كانت قد لحقتها.

❷ تجديد فتوة الفروسية

كان الناصر شابًا عنده ميعة الشباب[1] وله ولع خاص بالفتوة والفروسية.

وقد وجد أن هذه الفتوة قد اضمحل شأنها، واقتصرت على طبقات معينة من الناس، وكان هؤلاء أنفسهم يتحاشون أن يظهروا بها أمام الملأ خشية أن يلحقهم من الخزي والعار ما لحق أصحاب الفتوة المزيفة العيارين وغيرهم من الطبقات المنحطة - فعزم على أن يعيد إلى فتوة الفروسية سيرتها الأولى المحمودة، ويزيل عنها ما كان قد وصمها به أصحاب النيات الفاسدة، لأنه كان إذ ذاك أحوج ما يكون إلى هذا النظام الحي الذي يهيء له من الشباب أسوداً، يدافعون عن مقدسات بلادهم، وينصرون الفضيلة ويحاربون الرذيلة.

وفي سنة ٦٠٤هـ أهدر الفتوة القديمة وجعل نفسه القبلة في ذلك، والمرجوع إليه فيه، وقد انتسب هو في فتوته هذه إلى عبد الجبار بن يوسف، وكان هذا شيخاً متزهداً[2]، وانتسب له الناس في فتوتهم، وحذر من أن ينتسب أحد لغيره، فدخل في ذلك الخاصّ والعامّ، وبهذا فإنه أعاد تنظيم شؤون فتوة الفروسية من جديد وأزال عنها المخازي التي كانت قد ألحقها بها أصحاب الفتوة المزيفة، وعَدَّ نفسه حامياً لها، فلا

---

(١) نكت الهميان، ص ٦٢

(٢) الجامع المختصر، ص٦٠.

يحق لأحد أن يلبس سراويلها إلا من الخليفة، كما لا يجوز لأحد أن يرمي البندق إلا بعد أن ينتسب في هذا للخليفة، ولا أن يلعب بحمام إلا ما يؤخذ من طيور الخليفة[1].

وبهذا تجدد أمر الفتوة وعادت إليها سيرتها الأولى، وقد تيسر للناصر بفضل هذا النظام وما نفثه في الفتيان من حب الطاعة وحسن المعاملة ومتانة الأخلاق ونصرة الحق أن يوكل له جنوداً يعتمد عليهم كل الاعتماد في إدارة دولته.

فكانت دولته تدار من لدن هؤلاء الفتيان الذين تولى تربيتهم بنفسه. قال ابن جبير: ورونق هذا الملك إنما هو على الفتيان والأحابش المجابيب، منهم فتى اسمه: خالص، وهو قائد العسكرية كلها، أبصرناه خارجاً في أحد الأيام وبين يديه وخلفه الأجناد و.................»[2].

٣ تعميمها في الممالك الإسلامية

لم يكتف الخليفة بهذا بل عزم على أن يعمم هذا النظام في جميع الممالك الإسلامية، ففي سنة ٦٠٧هـ[3] كاتب الملوك والأمراء طالباً منهم أنْ يشربوا كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها، وينتموا إليه في رمي البندق واللعب بالحمام المناسيب، ويجعلوه قدوتهم في كل هذه الأمور، وأنفذ إليهم من يفتيهم بطريق الوكالة، فشرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر، ولبسوا سراويل الفتوة أيضاً، وأمر كل ملك أن يسقي رعيته ويلبسهم، فلبوا دعوته وامتثلوا أمره، وأحضر كل ملك قضاة

---

(١) أبو الفدا، ج٢، ص١١٥-١٢٦، ابن الأثير، ج٦، ص٦١، نكت الهميان، ص٩٢.

(٢) نكت الهميان، ص١٨١.

(٣) أبو الفدا، ص١١٢، ١٢٦، ابن الأثير، ج١٢، ص١٨١، النجوم، ص٢٦١.

مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها، وألبس كلاً منهم له وسقاه كأس الفتوة، وأمر الملوك أيضاً أن تنتسب إليه في رمي البندق، وتجعله قدوتها فيه، وانتشرت الفتوة إلى أقاصي البلاد حتى وصلت الهند، وعمّت جميع الممالك الإسلامية، فلبس الملك العادل ثم أولاده سراويل الفتوة، ولبس أيضاً شهاب الدين الغوري صاحب غزنة والهند من الخليفة نفسه، ولبسها من الملوك مثل صاحب كيش وأتابك سعد صاحب شيراز والظاهر صاحب حلب، وبهذا فقد انتشرت الفتوة في طول الممالك الإسلامية وعرضها، وعادت إليها سيرتها الأولى المحمودة، وصارت من مفاخر القوم التي يتباهون بها.

وكانت أكبر أماني الملوك والأمراء أن يمن عليهم الخليفة بلباس الفتوة ويمنحهم هذا الشرف، وكثيراً ما كان الملك يتقرب من الخليفة ليفوز منه بشرف الفتوة، فمن ذلك أن أرسل صاحب دمشق: أبو الفتح الملك الأشرف موسى بن موسى بن الملك العادل محمد بن أيوب شادي إلى الخليفة يسأل تشريفه بالفتوة[١]، ولمّا كان هذا بعيداً عن مركز الخلافة ولا يتسنى له الحضور إلى الخليفة أنفذ إليه الخليفة من فتّاه بطريق الوكالة، كما كانت خير هدية ينالها العالم من الخليفة أن يشرفه بلباس الفتوة سواءً يلبسه بيده أو ينيب عنه أحداً.

وفي سنة ٦٣٤هـ حضر عبد الله الشرمساحي، مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرابي، وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة[٢].

وإذا ما ذكروا مزايا قائد أو عالم فإنهم كانوا يذكرون فتوته[٣].

---

(١) الحوادث الجامعة، ص١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص٩٠-٩١.

(٣) لباب الآداب، ص٢٠، شذرات الذهب، ج٥، ص٧.

٤ اهتمامه بأخلاق الفتيان

كان الناصر يراقب الفتيان مراقبة شديدة ويحاسبهم على كل هفوة تصدر منهم، فأمرهم أن يكونوا قدوة حسنة في أقوالهم وأفعالهم.

وحدث في سنة ٦٠٤هـ أن تخاصم جماعة من الفتيان مع غيرهم، ولما بلغ هذا الخليفة أمر الوزير بجمع رؤوس الأحزاب وأن يكتب في ذلك منشوراً يأمرهم فيه بالمعروف والألفة، وينهاهم عن التضاغن، ويقرأ بمحضر منهم، ويشهد عليهم بما يتضمنه، فمن خالفه أُخذت سراويله وأبطلت فتوته، وعوقب بما يرى من العقوبة، فجمع الوزير رؤوس الأحزاب وتلا عليهم المنشور كاتبُ ديوان الإنشاء، وأعطى نسخة منه لكل رأس حزب وأخذ توقيعه بتطبيق كل ما جاء به[١].

رجع نظام الفتوة إلى سيرته الأولى وعمّ جميع أرجاء الممالك الإسلامية، وكان من أكبر العوامل التي خففت آلام الإنسانية، وأشفقت على البائس والمنكود.

(١) الجامع المختصر، ص٢٥٩.

الفصل الرابع

الفتوة بعد سقوط الدولة العباسية

١ الفتوة في أصفهان وشيراز

طغت موجات التتر والمغول على الممالك الإسلامية، وأعملت فيها القتل والنهب والتدمير، فقوضت معالم الحضارة والعلوم والعمران في هذه البلاد المترامية الأطراف، وكادت أن تقضي على تراث الإسلام الخالد، وكان نصيب الفتوة منهم التدهور والانحطاط، حيث تقلص ظل فتوة الفروسية في كثير من الممالك الإسلامية، وبقيت في بعض البلدان بحالة تختلف عمّا كانت عليه أيام ازدهار الحضارة الإسلامية، وأهم البلاد التي حافظت على فتوة الفروسية هي: الأنضول ومصر، أمّا أصفهان وشيراز فقد بقي فيهما شيء من آثارها، وإذا أردنا أن نقف على حالتها في هذين البلدين فإننا لا نكاد نظفر إلا بما ذكره ابن بطوطة عنهما، وكما حدثنا به عن جماعة أصفهان لا يدلنا إلا على سعة كرمهم وتسابقهم في هذا حيث قال: «وأهل كل صناعة يقدمون عليهم رجلاً كبيراً منهم يسمونه: الكلو، وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات، وتكون الجماعة من الشبان الأعزاب، وتفاخر تلك الجماعات، ويضيف بعضهم بعضاً مظهرين لما قدروا عليه من الإمكان، محتفلين بالأطعمة وسواها الاحتفال العظيم، ولقد ذكر لي أنّ طائفة منهم

أضافت أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشمع ثم أضافتها الأخرى فطبخوا طعامهم بالحرير»[١].

أمّا أزياؤهم وأنظمتهم وتقاليدهم فهذا مما لم نقف عليه، ومن المرجح أنها كانت تماثل ما لفتوة الفروسية التي تسربت إليهم من بغداد.

وأمّا بقاؤها في شيراز إلى زمن ابن بطوطة[٢]، فإنه يرجع هذا إلى استحكامها وانتشارها في دور الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وذلك على يد أتابك سعد، وهو ملكها إذ ذاك، فكان هذا ممن لبى دعوة الخليفة باتباع نظام الفتوة، وأرسل إليه الناصر من فتاه بطريق الوكالة، ولمّا رأى أهل شيراز شدة ولع ملكهم بهذا النظام أقبلوا إقبالاً حسناً، فتغلغل هذا النظام في شيراز وبقي مستحكماً بها حتى انقراض الدولة العباسية.

٢ الفتوة في مصر

أمّا في مصر فقد حافظت عليها سنين قلائل، وكان الخليفة العباسي في مصر هو الذي يتولى أمر تفتي من أراد الانتماء إلى هذه الفتوة من الملوك والسلاطين، وارثاً هذا عن أجداده الخلفاء العباسيين في بغداد[٣]، ولكن لم يلبث أمر هذه الفتوة أن تداعى بتداعي الخلافة العباسية في مصر وضعف سلطانها، فقلت أهميتها واستغلتها الطبقات المنحطّة وذللوا هذا النّظام لمصالحهم، فقضوا على فتوة الفروسية، وأحلوا محلها فتوتهم المزيفة التي ليس لها من فتوة الفروسية إلا السراويل وكأس التفتي.

---

(١) ابن بطوطة، ج١، ص١٨١.

(٢) ابن بطوطة، ج١، ص١٢٥.

(٣) السلوك، ص٤٦٥، ٤٩٦.

ويظهر لنا فساد هذه الفتوة من انتقاد الكتاب ورجال الدين لهؤلاء الفتيان الذين كانت لهم فتوة فروسية مشوهة، ظاهرها الرحمة والشفقة والألفة، وباطنها العذاب والقسوة والاجتماع على الضلال، وأن المصلحين من رجال الدين وغيرهم حاربوا هذه الفتوة وكتبوا الرسائل المطولة في نقدها، فبينوا مساوئها وما تجنيه على البشرية من الظلم والجور والاغتصاب، وذلك كما فعل ابن تيمية وتلميذه ابن بيدكين.

وكانت الشروط التي يشترطها أهل هذه الفتوة متناقضة بعضها مع بعض، فتراهم يشترطون على الفتى صدق الحديث وأداء الأمانة وأداء الفرائض، واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الأرحام والوفاء بالعهد، والعفو عن الظالم، واحتمال الأذى، وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله ﷺ، وأن يجتمعوا على السنة، ويفارق أحدهما الآخر عليها، وتراهم من جهة أخرى يشرطون شروطاً - وهي التي تتبع دون الأولى - لا تمُت إلى هذه الفضائل بصلة كالتحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية: أن كلّاً منهم يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويعادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على من يعاديه سواءً كان الحق معه أو كان الحق مع خصمه وغير ذلك من الشروط التي تحلل الحرام وتحرم الحلال، كاستحلال ما لا يحل فعله، فيطعمون الشبعان ويتركون الجيعان، ويكسون المردان ويتركون العريان، ففتوتهم هذه فتوة مشتملة على الإثم والعدوان في التعصب بالباطل لأصحابهم، والعدوان على من لم يكن من أضرابهم، والسعي في أسباب الفواحش والمنكرات التي هي من أعظم المحرمات إلى غير ذلك.

وكان شيخ الفتوة يجمع حوله الأشرار، والمردان، والبطالين الذين لا عمل لهم، يجتمعون إليه في دساكر لهم مخصوصة، ويسخرهم في أعمال الفساد من قتل وسلب ونهب، كلّ ذلك باسم الفتوة، ولهذا نجد جمهرة

العلماء قد حاربوهم أشد حرب، وقد أفتوا بفساد طريقتهم هذه، وأنها ليست من الفتوة الحقيقية بشيء، كما أن بعضهم أفتى بمقاومة هذه الفتوة المزيفة، وأوجب على ولاة أمور المسلمين القضاء عليها لأنها فتوة شيطان تشمل على الإثم والعدوان قد شوهت سمعة الفتوة، ووصمتها بالخزي والعار.

فالفتوة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين أصبحت منحطة جداً، بل أنها انحدرت إلى أسفل دركة في حياتها، فاستغلها بعض أصحاب المطامع والمفاسد وستروا ما يأتونه من المنكر والفسق والفجور والنهب باسم الفتوة[١].

ولربما كان من بقاياهم فتوة مصر المنتشرة بين الطبقات العامة، وقد قال عنهم الأستاذ أحمد أمين: «وقد أدركنا لعهدنا في كل خط وناحية جماعة من الشبان يسمون بالفتوات، وهم من أرباب الصنائع والمهن الحقيرة، عادة ما يلبسون الجلابيب الزرقاء، ويتعممون على الطاقية بقلاسة، قد عرفوا بالقوة الجسمية والشجاعة والفتوة، وعلى رأسهم زعيمهم، وبينهم وبين فتوات الخط الآخر نزاع غالباً، وقد يخرج فتوات المنشية لمحاربة فتوات الحسينية في جبل المقطم بالطوب والحجارة والعصي، وقد يقع بينهم جرحى وقتلى، وبعد ذلك يوم له ما بعده.

ويكون بين فتوات الحيين تآمر، وقد ينتج من ذلك أن فتوات الحسينية مثلاً يعلمون بزفة فتيان المنشية فيتربصون لهم، حتى إذا خرجت الزفة تعرض لها الأعداء وأعملوا فيهم الضرب والتخريب، وقد قضت الحكومات النظامية على هذه الأعمال، وقضى على شبابهم وفتوتهم الانهماك في المكيفات من حشيش وكوكايين وغيرهما، فلم يبق فيهم فتوة.

---

(١) ما كتبناه فهو من الحجة والبرهان، وفتوى ابن تيمية.

٣ الفتيان الآخية[١] في الأنضول

• أنظمتهم وعاداتهم[٢]

تغلغل نظام الفتوة في الأنضول، وانتشر في طول البلاد وعرضها، حتى أنه لم تخل بلد أو مدينة أو قرية منه[٣]، وكان يعرف عندهم: بالفتيان الآخية.

وواحد «الآخية» أخي على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم لنفسه، والأخي: مقدم الآخية وهم ينتسبون إليه، وهو رجل يجتمع إليه أهل صناعته وغيرهم من الشبان الأعزاب والمتجردين، ويقدمونه على أنفسهم، وتلك هي الفتوة أيضاً[٤].

ولم يكن مقدم الآخية من حديثي السن، إنما كانوا يقدمون عليهم المعمرين الذين جربوا الأمور ومارسوا الفتوة زمناً طويلاً، وتمسكوا بفضائلها، وربما جاوز سن أحدهم المئة سنة، فقد شاهد ابن بطوطة في مدينة كوتاهية أخي طومان وقد طعن في السن وقارب المئة والثلاثين سنة[٥].

وهم - كالفتوة - يسندون طريقتهم هذه إلى سيدنا علي - كرم الله وجهه-، وتقوم السراويل عندهم مقام الخرقة عند الصوفية، ولهم سند في هذا يرجعونه إلى الإمام علي - كرم الله وجهه-، فكان أعلم القوم

---

(١) أرى أنها جاءت من معنى الآخية التي مرّ ذكرها وهي الذمّة والحرمة مأخوذة من الآخية التي هي العروة التي تربط بها أعنة الخيل.

(٢) هذا البحث مستقى من المجلد الأول من رحلة ابن بطوطة، ولهذا سنكتفي بذكر أرقام الصفحات.

(٣) ص١٨١.

(٤) ص١٨١.

(٥) ص١٦٠.

وأشرفهم وأفقههم ينخرط في هذا السلك ويفتخر به، ففي مدينة قونية كان قاضيها ابن قلم شاه من الفتيان، وزاويته من أعظم الزوايا، وله طائفة كبيرة من التلاميذ، ولهم في الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة[١]، كما كان من الشرفاء الآخية: الشريف حسين في مدينة اقصرا، وله زاوية كبيرة وطائفة كثيرة[٢].

وكانت العادة في بلاد الأنضول أن البلاد التي ليس بها سلطان تدار من لدن الآخي، فهو الحاكم فيها، ففي مدينة قيسارية كان الفتى الآخي أمير علي يقوم مقام الحاكم فيها، وهو نفسه أمير كبير من كبار الآخية في هذه البلاد، وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها، وزاويته أحسن الزوايا فرشاً وقناديل وطعاماً كثيراً وإنفاقاً، والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل ليلة عنده ويفعلون في إكرام الوارد أضعاف ما يفعله سواهم[٣].

وكانوا يحتفلون احتفالاً كبيراً بيوم عاشوراء من كل سنة، فيصنعون طعاماً كثيراً ويدعون وجوه العسكر وأهل المدينة ليلاً ويفطرون عندهم، وبعد الإفطار يتلو القراء القرآن الكريم ويعظ الفقهاء الناس[٤].

● أزياؤهم

أما ألبستهم فكانت بعضها عربية، انتقلت اليهم مع نظام الفتوة وصارت مألوفة عندهم، وأما البعض الآخر فكان من أزياء أهل البلاد. وأزياؤهم هي:

---

(١) ص١٨٦-١٨٧.

(٢) ص١٨٨.

(٣) ص١٨١، ١٨٩-١٩٠.

(٤) ص١٩٦.

١ ● أن يضعوا على رؤوسهم قلانس بيضاً من الصوف، بأعلى كل قلنسوة قطعة موصلة بها في طول ذراع وعرض أصبعين، والأرجح أن تكون هذه القطعة التي يضعونها على قلانسهم هي من بقايا العمائم الغربية التي انتقلت إليهم مع نظام الفتوة.

٢ ● أن يرتدوا سراويل الفتوة وهي السراويل التي كان يرتديها الفتيان في جميع الممالك الإسلامية.

٣ ● أن يرتدوا فوق سراويل الفتوة الأقبية، وهي عربية كذلك.

٤ ● وكان كل واحد منهم متحزماً على وسطه سكين في طول ذراعين.

٥ ● ويلبسون في أرجلهم الأخفاف، وهي عربية كذلك.

٦ ● وإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها بين يديه، وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني، سوداء اللون، حسنة المنظر[١].

● نواديهم واجتماعاتهم

كان في كل مدينة نواد عديدة للفتيان الآخية تعرف «بالزوايا»، وكل ناد يدعى باسم مقدم تلك الجماعة، ويكون مجهزاً بأنواع الآلات ومؤثثاً بأحسن الأثاث من أرائك وطنافس وسرج، وبعد أن ينتهي الفتيان من أعمالهم يجتمعون في ناديهم بعد العصر من كل يوم، وقد اشتروا الفواكه والطعام وغير ذلك مما ينفق في الزاوية[٢]، وكانت هذه النوادي تقوم مقام دور الضيافة في هذه البلاد، فهم يتسابقون إلى إقراء الضيف، وربما أدى هذا إلى النزاع والتشاجر وشهر الخناجر بين جماعتين منهم،

---

(١) ص١٨٢.

(٢) ص١٨١.

فقد حدثنا بهذا ابن بطوطة - وهو ما شاهده منهم عند وصوله مدينة كوتاهية - فقال: «نزل إلينا رجال من حوانيتهم، وأخذوا بأعنة خيلنا، ونازعهم في ذلك رجال آخرون، وطال بينهم النزاع حتى سل بعضهم السكاكين على بعض، ونحن لا نعلم ما يقولون، فخفنا منهم وظننا أنهم - الجرميان - الذين يقطعون الطرق، وأن تلك مدينتهم، وحسبنا أنهم يريدون نهبنا، ثم بعث الله رجلاً حاجّاً يعرف اللسان العربي، فسألته عن مرادهم منا فقال: إنهم من الفتيان، وأن الذين سبقوا إلينا أولاً هم أصحاب الفتى «أخي سنان» والآخرون أصحاب الفتى «أخي طومان» وكل طائفة ترغب أن يكون نزولكم عندهم، فعجبنا من كرم نفوسهم، ثم وقع بينهم الصلح على المقارعة، فمن كانت قرعته نزلنا عنده أولاً، فوقعت قرعة أخي سنان وبلغه ذلك فأتى إلينا في جماعة من أصحابه فسلمّوا علينا ونزلنا بزاوية له، وأتى بأنواع الطعام و........»[١].

وقد نال منهم ابن بطوطة كل مساعدة أثناء سياحته في هذه البلاد، كما أنه خالطهم واطلع على عوائدهم وأخلاقهم وحضر نواديهم وشهد مجالسهم واحتفالاتهم، ووصف ذلك وصفاً بديعاً، وأثنى على كرم أخلاقهم، وقيامهم بمساعدة كل غريب أو طارئ إلى بلادهم، فإذا حلّ الضيف عندهم قاموا بخدمته خير قيام، وقدّموا له جميع ما يلزمه من أكل وشرب وخدمة، حتى يفارق بلدتهم. ومما قاله عنهم: «فللّه درهم من طائفة ما أكرم نفوسهم وأشدّ إيثارهم وأعظم شفقتهم على الغريب، وألطفهم بالوارد، وأحبهم فيه وأجملهم احتفالاً بأمره، فليس قدوم الإنسان الغريب عليهم إلّا كقدومه على أحبّ أهله إليه»[٢] و: «لم أر في الدنيا أجمل أفعالاً منهم، ويشبههم في أفعالهم أهل شيراز وأصفهان، إلّا

(١) ص١٨٤.

(٢) ص٢٠١.

أن هؤلاء أحب في الوارد والصادر وأعظم إكراماً له وشفقة عليه»[١].

وكانوا في كل يوم يجتمعون في نواديهم ويقيمون الاحتفالات فيما بينهم، وذلك بأن يفتتحوها بتلاوة الذكر الحكيم، وبعده يأخذون بالغناء، فيغنون بالعربي ويسمونه القول، ثم بالفارسي والتركي ويسمونه الملمع[٢].

وقد حضر هذه الاحتفالات ابن بطوطة ووصفها أدق الوصف فقال: «فلما صليت المغرب عاد إلينا ذلك الرجل - أحد شيوخ الفتيان الآخية - وذهبنا معه إلى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان، وبها الكثير من ثريات الزجاج العراقي، وفي المجلس خمسة من البياسيس - والبيسوس شبه المنارة من النحاس، له ثلاث أرجل، وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس، وفي وسطه أنبوب للفتيلة ويملأ من الشحم المذاب - وإلى جانبه آنية نحاس ملآنة بالشحم، وفيها مقراض لإصلاح الفتيل، وأحدهم موكل بها ويسمى عندهم: الجراغجي، وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الأقبية، وفي أرجلهم الأخفاف، وكل واحد منهم محتزم على وسطه سكين في طول ذراعين وعرض أصبعين، فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها بين يديه، وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني، وسواه حسنة المنظر، وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين، ولما استقر بنا المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير والفواكه والحلواء، ثم أخذوا بالغناء والرقص، فراقَنا حالهم، وطال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم، وانصرفنا عنهم آخر الليل،

(١) ص١٨١.

(٢) ص٢١٠.

وتركناهم بزاويتهم[١]. وهكذا كان حالهم في كل يوم فإنهم كانوا يأتون إلى نواديهم بعد العصر، ويشترون الطعام والفواكه وما يحتاجونه في زاويتهم، فإنْ ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم، وكانت ضيافته لديهم، فلا يزال عندهم حتى ينصرف وإنْ لم يرد وارد اجتمعوا على طعامهم فأكلوا وغنّوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعتهم بالغد»[٢].

ولم تكن هذه النوادي صغيرة، إنما كانت كبيرة بحيث أن بعضها كان يضم مئات الآخية منهم وإنْ أحد نوادي أنطالية كان يضم مئتين من الفتيان الآخية[٣]، كما كانت زاوية ابن قلم شاه في مدينة قونية تضم طائفة كبيرة منهم.

● منزلتهم

نجد مما تقدم أن «الفتيان الآخية» كانوا يقومون بخدمات جليلة لكل صادر أو وارد إلى بلادهم، كما أنهم قد عاهدوا أنفسهم على مناصرة كل ضعيف ومساعدة كل عاجز وإغاثة كل ملهوف، ونصفة كل مظلوم، وعلى قضاء الحوائج والأخذ على أيدي الظلمة، وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر[٤]، ولذلك نراهم متمتعين بمنزلة سامية بين الشعب قلّ أن ينالها غيرهم.

كما أن الملوك والأمراء في تلك الديار كانوا يعتمدون عليهم في مهام الأمور، ويحلونهم المقام الرفيع بين طبقات الشعب، وكانوا

(١) ص١٨٢.
(٢) ص٣٨٢.
(٣) ص١٨١.
(٤) ص١٨١.

يشهدون الاحتفالات الرسمية بزياتهم الخاصّة، ويقدمهم السلطان اعترافاً بخدماتهم الجليلة التي ينالها الشعب منهم، وقد شاهد ابن بطوطة بنفسه في مدينة لاذق تكريم السلطان لهم فقال: «وأظللنا عيد الفطر بهذه البلدة فخرجنا إلى المصلى، وخرج السلطان في عساكره والفتيان الآخية كلهم بالأسلحة، ولأهل كل صناعة الأعلام والبوقات والطبول والأنفار، وبعضهم يفاخر بعضاً ويباهيه في حسن الهيئة وكمال الشكة[١] و........ ولمّا صلينا صلاة العيد دخلنا مع السلطان إلى منزله، وحضر الطعام فجعل للفقهاء والمشايخ والفتيان سماطاً على حدة»[٢].

وكان الملوك كثيراً ما يعهدون أمر حراستهم إلى هؤلاء الفتيان، اعتماداً على صدقهم وأمانتهم وشجاعتهم، كما كانوا يعهدون حراسه حريمهم إليهم اعتماداً على متانة أخلاقهم[٣].

ولعل أن تكون الطريقة المولوية من بقايا هذا النظام، لأن هذه الطريقة انتشرت أولاً في الأنضول، وأن ألبستها وتقاليدها تقرب من نظام الفتيان الآخية.

---

(١) ما يحمل أو يلبس من السلاح.

(٢) ص١٨٥.

(٣) ص٢١٢.

الفصل الخامس

ألعاب الفتوة

❶ البندق

● **آلة البندق:** تتألف آلة البندق مما يأتي[1]:

١ ● **القوس:** وهي تتخذ من القنا، ويلف عليها الحرير وتُغرّى، وفي وسطها قطعة دائرة تسمى الجوزة، يوضع فيها البندقة عند الرمي.

٢ ● **البندق:** وتسمى بالفارسية جلاهق، وهي كرات تصنع من الطين لترمي بهذه القوس.

٣ ● **الجراوة:** آلة من جلد يجعل فيها البندق الذي يرمى به عن القوس المقدم ذكره.

٤ ● **السَبَطانه:** «**الزبطانة**» وهي آلة من آلات الصيد، تتخذ من خشب مستطيلة كالرمح، مجوفة الداخل، يجعل الصائد بندقة من طين في فيه، وينفخ فيها فتخرج بحدّة فتصيب الطير فترجمه، وهي كثيرة الإصابة «فلمّا اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق به من

(١) صبح الأعشى، ج٢، ص١٢٨، نهاية الأرب، ج١٠، ص٢٢٤.

تلك الأنابيب، وسمّوا هذه الآلة: بندقية، نسبة إليه»[١].

● **تاريخها**

هي لعبة فارسية لا ندري متى دخلت إلى بلاد العرب، وقد ورد في الأثر: أن الرسول ﷺ نهى عن الخذف[٢] ورمي البندق[٣].

ولما استتب أمر الفتح في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه انتشرت بين الناس كثيراً وألهتهم عن الرمي الحقيقي الذي حثّ عليه الرسول ﷺ، وكان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أول من كافحها وعدّ هذا الأمر: أول منكر ظهر في المدينة حين فاضت الدنيا: طيران الحمام والرمي على الجلاهقات، وهي قوس البندق، واستعمل عليها عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلاً من بني ليث سنة ٨ هـ من خلافته، فقص الطيور وكسر الجلاهقات[٤].

ولكن هذا لم يثن الشبان عنها، فأخذ يتعاظم أمرها ويشتد ولع الناس بها على ممر الأيام، «حتى أنهم - بعد هذا- شكلّوا فرقاً من الجند ترمي بها، وأن الرشيد كان عنده فرقة» يقال لها «النمل» تسير بين يديه، ترمي البندق على من يقف في طريق الموكب[٥]، وكان الخلفاء العباسيون أنفسهم يمارسون هذه اللعبة كثيراً، فيخرج الخلفاء إلى الآجام وشواطئ الأنهر ومجاري المياه ليرموا الطيور بها[٦]، وصارت من الألعاب المألوفة التي يتفاخر بها علْيةُ القوم والفتيان، وكان أكبر العلماء وأزهدهم يفتي

---

(١) التمدن الإسلامي، ج٥، ص١٥٤.

(٢) الخذْف: رمي الحصى بالأصابع.

(٣) صحيح مسلم، ج١٢، ص١٠٦.

(٤) الحيوان للجاحظ، ج٢، ص٥٩، ابن الأثير، ج٢، ص٧٦.

(٥) التمدن الإسلامي، ج٥، ص١٥٣.

(٦) تجارب الأمم، ج٢، ص٨٧، معجم الأدباء، ج١٧، ص١٢٦، الأوراق، ص٢١٤.

بجوازها ويزاولها بنفسه[١]، واستعمل الفتيان هذه الآلة في رمي الطيور والتصويب إلى الأهداف، واختصت بهم.

● **طيور الواجب**

وكانت الطيور التي يصطادونها بهذه الآلة تسمى: «طيور الواجب» أو «الطير الجليل»، وبه تعنى رماة البندق ونحوها، وتفتخر بإصابته وصرعه[٢]، وهي على قسمين[٣]:

١ ● **طيور الشتاء**: وهي الطيور التي يخرجون لصيدها في هذا الفصل، وهي عشرة طيور: الكركي، والأوز، واللغلغ، والحبرج (الحباري)، والتم: وهو طائر في قدر الأوز، أبيض اللون، طويل العنق، أحمر المنقار، وهو أعظم طيور الواجب وأرفعها قدراً، والعناز، والعقاب، والنسر، والأنيس ويسميها رماة البندق: «الأنيسة» والصوغ.

٢ ● **طيور الصيف**: وهي الطيور التي يرمونها في هذا الفصل، وهي أربعة:

★ **اللّك**: وهو طير أغبر اللون إلى البياض، أحمر المنقار والحوصلة، رجلاه تضربان إلى السواد.

★ **الغرنوق**: ويسمى غرنيق (وهو طير أشبه بمالك الحزين).

★ **المرزم**: طير أبيض اللون، في أطراف ريشه حمرة، طويل الرجلين والعنق، وهو حلال أكله.

★ **الشبيطر**: ويسمى اللقلق.

---

(١) الحوادث الجامعة، ص٢٥٧.

(٢) صبح الأعشى، ج٢، ص٢٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص٦٤-٦٧.

هذه هي الطيور التي كان يرميها الفتيان، فكانوا يختارون قبل الشروق ووقت السحر، ويخرجون إلى محلات الصيد حاملين أقواسهم بأيديهم اليسرى، متأبطين جراواتهم المملوءة بكرات البندق، فيتبارون في رميها، ويتفاخرون بإصابتها، وهكذا كان يقضي الفتيان أوقات فراغهم في الآجام وعلى شواطئ الأنهر، وقرب مجاري المياه وبين الحقول النضرة والأزهار العطرة[١].

وبلغ من اهتمام القوم بهذا أنهم أفردوا باباً من أبواب الإنشاء، يصفون به حال الرمي بالبندق وأحوال الرماة وأسماء طير الواجب وإصلاح الرماة وشروطهم و......[٢] كما ألفوا الكتب عن البندق واصطلاحات رماته[٣].

● الانتساب في رمي البندق

كان الملوك والأمراء ينتسبون في رمي هذه الطيور بالبندق إلى الخليفة، يفعلون هذا تكريماً له بوصفه الحامي الأكبر لهذه الألعاب التي شملها برعايته، وتولى تشجيعها بنفسه.

وأوّل من سن هذا هو: الخليفة الناصر لدين الله العباسي، فأمر الملوك أن تنتسب إليه في رمي البندق، وتجعله قدوتها فيه، ثمّ عمم هذا على جميع طبقات الشعب، «ومنع الرمي بالبندق إلّا من ينتمي إليه فأجابه الناس بالعراق وغيره إلى ذلك إلّا إنساناً واحداً يقال له «ابن السفت» من

---

(١) ديوان ابن المعتز، ص ٢٩٢، ٢٩٤، الأوراق، ص ٢١٤، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٥٢.

(٢) صبح الأعشى، ج١٤، نهاية الأرب، ج ١٠، نسيم الصبا ص ٧٢-٧٨.

(٣) المعلم الجديد، السنة الرابعة، ص ٢١٠، وملحق دائرة المعارف الإسلامية، السلوك، ص ١٧٢.

بغداد، فإنه هرب من العراق ولحق بالشام، فأرسل إليه يرغبه بالمال الجزيل ليرمي عنه وينتسب في الرمي إليه فلم يفعل، وأن بعض أصدقائه أنكر عليه الامتناع من أخذ المال، فقال: يكفيني فخراً أنه ليس في الدنيا أحد إلّا يرمي للخليفة إلّا أنا»[1] وبهذا فقد عمّ هذا الانتساب للخليفة، ولم يتخلف عن ذلك إلّا شخص واحد كما مرّ.

«وكان الرامي المنتسب إذا ما أصاب طيراً فإنه يرسل هذا الطير إلى بغداد، أو يحمله بنفسه إلى الخليفة. ومعه الشهود من الفتيان الذين يشهدون بأن الرامي رمى هذا الطير باسم الخليفة، فيأمر الخليفة بالطير، فيعلق بباب البدرية، ويذكر اسم راميه، وأنه رماه باسم الخليفة، كما كان الخليفة يأمر بإعطاء الجوائز لحامله، وينثر الدنانير على الطير تكريماً للمنتسب»[2].

وبعد وفاة الناصر أخذ الناس ينتسبون بها إلى الخليفة أو إلى أرباب الدولة تقرباً منهم، وأملاً أن ينالوا لديهم حظوه، وكان المنتسب إليه يفعل مع المنتسب ما يفعله الخليفة نفسه من إعطاء الجوائز ونثر الدنانير على الطير، إلا أنه كان يعلقه تجاه باب البدرية[3].

❷ صيد السباع

الصيد مألوف عند العرب منذ الدور الجاهلي، وقد ساعدهم على هذا حياتهم البدوية وشجاعتهم، وفي الدولة الأموية نشاهد الخلفاء والأمراء مغرمين بالصيد كثيراً، حتى أن بعض الخلفاء كان يقضي الأيام الطوال في البراري قريباً من محلات الصيد، كما أن بعضهم ابتنى القصور

(١) ابن الأثير، ج ١٢، ص ١٨٩.
(٢) الحوادث الجامعة، ص ١٠٤، ١٤٣.
(٣) المصدر السابق، ص١٥-١٦.

ليسكنها وقت خروجه إلى الصيد، واستعانوا على الصيد بالطيور الجارحة والحيوانات الكاسرة، فكان يحيى بن الحر بن يوسف يخرج إلى الصيد ومعه الفهود والصقور والبزاة[١]..

وزاد ولع الخلفاء العباسيين بالصيد كثيراً، فإن الخليفة المهدي لقي حتفه بينما كان يطارد ظبياً[٢].. كما زاد اعتناؤهم كثيراً بتربية الجوارح من الطيور والكواسر من الحيوانات، ويروى أن المهديّ ووزيره علي بن سليمان خرجا للصيد ومعهما الشاعر أبو دلامة، فصاد المهدي ظبياً وصاد علي بن سليمان كلباً، فقال المهديّ للشاعر قل فيما رأيت فقال:

قد رمى المهديّ ظبياً شك بالسهم فؤاده

وعلي بن سليمان رمى كلباً فصاده

فهنيئاً لهما كل امرئ يأكل زاده

وكان أول من أولع بحب صيد السباع من الخلفاء هو: الأمين بن الرشيد، وكان عنده جماعة من الأبطال يخرجون إلى صيدها ويستترون باللبود ويطاردونها بالحراب على البغال[٣]، ثم انتشر هذا النوع من الصيد وأقبل عليه الخلفاء وأولادهم[٤].

وبعد هذا نرى العباسيين يرتبطون السباع ويعدّون ذلك من مظاهر الأبهة والعظمة، ففي سنة ٣٠٤هـ حضر رسل ملك الروم لدى الخليفة المقتدر، فأمر بإحضار الجيوش وجميع مظاهر الزينة والعبيد والخدم

---

(١) أبو زكريا، ص ١١٥.

(٢) الفخري، ص ١٢٠.

(٣) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٤) ابن المعتز، ص ٢٠٤.

و. . . . . وجيء بمئة سباع معها مئة سبع[١] إلى دار الخلافة ليشاهدها هؤلاء الرسل.

وصيد السباع لا يقدم عليه إلا الأبطال والشجعان البارزون، وذلك لما يقتضيه من الإقدام والشجاعة النادرة، ولهذا فقد خصه الخليفة الناصر لدين الله العباسي برعايته، وحرّض على تعاطيه وأجزل العطاء لمن يمارس هذا النوع من الصيد، فهو خير دليل على بسالة الفتى وإقدامه على مطاردة هذه الحيوانات الضارية.

تقرر هذا النوع من الصيد على يد الناصر، وصار مما يتعاطاه الفتيان، وكانت العادة في ذلك أن يجتمع فتيان محلّة ما، أو فتيان عدة محلات ويطلبون الإذن من الخليفة بذلك، فبعد أنْ يأذن لهم الخليفة ويُنعم عليهم بشيء من البر، يجتمع من كل محلة جوق ويكون بين أيديهم اللعّابة بالدفوف والزمور والمغاني وسائر الملاهي، ويسيرون أمام الفتيان فيتجاوزون بغداد على هذه الصورة وهم ينشدون الأناشيد الحماسية، ويوقعون على هذه الآلات معلنين للملأ بسالتهم وإقدامهم وشجاعتهم، وكثيراً ما كانوا يقومون بتمثيل بعض الفصول الهزلية المضحكة أثناء سيرهم في الشوارع كأنْ يُركبون بين أيديهم شخصاً على ثور يجعلونه أميراً، ويشهرون بين يديه السيوف الكبيرة، ويجعلون خلفه الأسلحة ويناولونه القصص فيتأملها هذا ويجيب عليها بألفاظ مضحكة[٢] إلى غير ذلك من الألاعيب التي تسر الناظرين.

لقد كان فتيان بغداد يخرجون على هذه الصورة المؤنسة إلى صيدهم، فترى كل يوم يشق دروبها جوق فتيان إحدى المحلات لهذه

---

(١) ابن الشحنة في حاشية ابن الأثير، ج٨، ص ٩٨.

(٢) الحوادث الجامعة، ص ١٧٦.

الغاية، ويتوجهون إلى الفيافي والغابات[١]، فإذا ما حلوا هناك انقلبوا من هذا المرح إلى أبطال تطارد الأسود والحيوانات الضارية، فيذللونها أمامهم ويقتلونها شر قتلة.

وكان الخلفاء يشجعون هذا النوع من الصيد وذلك لما فيه من إظهار الفتوة بأجلى مظاهرها من القوة والعزيمة والبطش، واستمر الخلفاء على تشجيع هذا الصيد حتى انقراض الدولة العباسية.

٣ الحمام

الحمام[٢] طائر معروف يسكن البلاد العربية، والأشعار العربية كثيرة في وصف الحمام وطيرانه في الجو وتقلباته.

بعد أن استتبت حركة الفتح الإسلامي ورجع العرب إلى بلادهم غانمين ظافرين، ركن قسم من أولادهم إلى الراحة والبطالة يتنعمون في الفيء الذي ناله أهلوهم، والأموال والعقارات التي امتلكوها، وكان من بين الألعاب التي مارسوها بكثرة هي: تطيير الحمام، ويرجح أنهم أخذوها عن الفرس، ولقد شغفوا بهذا كثيراً، فرأى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن هذا سيضر بالشبان ويقعدهم عن العمل النافع، فكره اللعب به ونهى

(١) المصدر السابق، ص١٧٥-١٧٦.

(٢) مصادر البحث هي: الحيوان للجاحظ، ج ٢، ص ٤٦-٧٦، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٢٦٠-٢٩١، الحيوان للدميري، ج١، ص ٣٥٩-٣٦٢، تجارب الأمم، ج١، ص ١٧٩، ج٢، ص ٨٧، ٢٧٥، مروج الذهب، ج٢، ص ٢٧٠، ٣٥١، ٥٤١، الحوادث الجامعة، ص ٣٠٢-٣٥٧، نهاية الإرب، ج ١٠، ص ٢٦٨-٢٧٣، الفخري، ص ١٩٧، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٢٨، ديوان ابن المعتز، ص ٢٠١، الأوراق، ص ٢٤٨، قصص العلماء، ج١، ص ١-٢، تذكرة داود الأنطاكي، ج١، ص ٢٤٤.

عنه، كما أن قسماً كبيراً من الصحابة الكرام كانوا يرون رأيه وحاربوا هذه البدعة.

وفي الدولة العباسية استكملت وسائل الحضارة عند العرب، وانغمسوا في الترف والنعيم، فزاد ولعهم بالحمام كثيراً، وتنافس فيه رؤساء الناس في العراق، لاسيما في البصرة، وقد حدثنا الجاحظ عن شدّة ولعهم بهذا الطائر الأليف وانتشار هذا بين جميع الطبقات على اختلافها فقال: «وأسفل الناس لا يكون دون أن يتخذها، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتخذها، وهي شتى يتخذها ما بين الحجام إلى الرجل الهمام، والحمام مع عموم شهوة الناس له ليس شيء مما يتخذونه هم أشدّ صيانة منهم بالحمام، ثمّ تجد ذلك في الخصيان، كما تجده في الفحول وتجده في الفتيان، كما تجده في الشيوخ، وتجده في النساء كما تجده في الرجال»، و«أنه كان لا يمتنع الرجل الجليل ولا الفقيه، ولا العدل من اتخاذ الحمام، والمنافسة فيه والإخبار عنه، والوصف لأثرها والنعت لمشهوره، حتى وجه أهل البصرة إلى بكار بن شيبة البكراني قاضي مصر - وكان في فضله وعقله ودينه وورعه ما لم يكن عليه قاض بحمامات لهم مع ثقات، وكتبوا إليه يسألونه أن يتولى إرسالها بنفسه ففعل».

وكان يتخذ لضروب منها ما يتخذ «للأنس والنساء والبيوت، ومنها ما يتخذ للرجال والسباق»، وهذا ما جعل أحد العلماء أن يقول: «ما تلهى الناس بشيء مثل الحمام، ولا وجدنا شيئاً مما يتخذه الناس ويلعب به ويلهى به يخرج من أبواب الهزل إلى أبواب الجد كالحمام».

وبعد أن كان من الأمور المنكرة في زمن الخليفة عثمان ابن عفان ﷺ أصبح الخلفاء أنفسهم يشاركون الشعب فيه، ويرون رأيه، «فكان الخليفة المهدي من الذين يعتنون بالطائر» كما «كان الرشيد يعجبه الحمام واللعب به» وأن الخليفة المستكفي والخليفة المطيع كانا مولعين

باللعب في هذا الطائر وتطييره، وكذا ابن المعتز، وصار لا يتورع أعلم القوم واتقاهم وافقهم عن اللعب به.

وقلما كانت تخلو دار من برج للحمام أو حجر، وكان يتوقف كبر هذا البرج وصغره على كبر الدار وصغرها، وعلى ثروة ساكنها، وكانت تبنى هذه البروج بالساسان وتخزن بها أنواع الغلات والمؤونات التي تسيغها الحمام، ويخصص لخدمتها عدد من الخدم يتولى بعضهم إطعامها وبعضهم حفظ بيضها والبعض الآخر تدريبها وتمرينها إلى غير ذلك من الأعمال الأخرى.

أمّا ما كان يصرف عليها فكان مبلغاً لا يستهان به، ولكل دار فيه حمام مخصصات شهرية توقف للصرف عليه، ولأجل أن نبين مقدار هذا الصرف، ومقارنته بما كان يصرف على الدار: «أن أحد الأغنياء كانت نفقته في الشهر زيادة عن مئة وخمسين ديناراً عدا ما يحتاج إليه سطح الطيور وهو عشرون ديناراً»، وهذا المبلغ إذا قورن بما كان يصرف في الدار فإنه يكون مبلغاً ذا قيمة.

وقد قسموا الحمام إلى أقسام عديدة، وذلك حسب نوعها وحفظ نسبها ومدينتها التي جاءت منها، كما قسموها إلى أقسام مختلفة حسب أشكالها وألوانها وأفعالها.

وصنّفوا الكتب الكثيرة في أنسابها والاحتفاظ بأنواعها، وكانوا لا يعهدون بهذا الأمر إلا لمن ثبت دينه وصدقه وأمانته، «ويتخيرون الثقة في موضع الصدق والأمانة والبعد من الكذب والرشوة، ويتوخون التجربة والمعرفة اللطيفة، وتسخوا أنفسهم بالجعالة الرفيعة».

والكتب التي صنفت في أنساب الحمام دعيت بدواوين الحمام، وهي تزيد على الكتب التي أُلفت في الأنساب، ونبغ علماء اختصوا بها،

وكانوا حججاً في ذلك، يرجع إليهم عند الحاجة، «والذي يشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب النسب التي تضاف إلى ابن الكلبي والشرقي بن الفطامي و............. وإلى كل نسابة راوية، وكل متفنن علامة».

وكثيراً ما كان يسند الخليفة هذا المنصب إلى أفقه القوم وأتقاهم وأنزههم وأعلاهم مرتبة، وبلغ من اعتناء الخليفة الناصر لدين الله العباسي بحمام البطاقة أنه صار يكتب بأنسابها المحاضر أنه ولد الطير الفلاني.

وإذا ما أرادوا أن ينقلوا الحمام من محل لآخر فإنهم كانوا يختارون لحملها من رجال الأمانة والجلد والشفقة والبصر وحسن المعرفة، ويكتب سجل بذلك، يشهد فيه العدول على القاضي لثبوته عنده، كما فعل هذا الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٤٣هـ، وكان الحمام عندهم متجراً من المتاجر لا يرون بذلك بأساً، وكانت قيمته تتوقف على نوع الحمام وثبوت نسبه وسرعة قطعه للغاية، وربما بيعت الحمامة الواحدة بألف دينار.

وكان الحمام من أنفس الهدايا التي تقدم للخلفاء وأعيان الدولة، كما أن خير هدية يقدمها الخليفة إلى أحد أعيان دولته هي أن يسلمه حمامة بيده، فمن ذلك أن الخليفة المستعصم بالله قدم إلى النقيب الطاهر قطب الدين الحسين بن الأقساسي بيده حماماً تكرمة له وإجلالاً.

وربما كان الذي استمال الفتوة إلى اللعب بالحمام، وأولعهم به كثيراً هو ما جاء في الأثر أن مثلهم الأعلى علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه- شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة، فقال له: «اتخذ زوجاً من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها».

❹ استعمال الحَمام

● كان الحمام يستعمل لغايتين

* **الأولى**: استعمل الحمام الزاجل بصفته واسطة لنقل الأخبار بسرعة، وأول من استعمل الحمام هذا في المخابرات هم اليونان، وذلك أن رجلاً من جزيرة أوجين من جزائر اليونان كان يختلف إلى أثينا ليشهد الألعاب الأولمبية، وذلك قبل الميلاد بنحو ثمانية قرون. فكان يرسل إلى بلده بعد أن يظهر على أنداده حمامة ويعلق غصناً من شجر لونه أحمر، يجعله عنوان الانتصار، وفي سنة ٤٣ق.م حاصر أنطونيوس مدينة مودينا، فأرسل رئيس حكومتها رسالة بعنق حمامة إلى حاكم إحدى المدن، فرد عليها بمثلها، وقد تكون هذه المرة الأولى التي اتخذ فيها الحمام في الحروب.

وسخّر العباسيون الحمام في هذا، فقد استعملها المستعصم في حروبه، وأول من اهتم بأمرها اهتماماً زائداً هم الأتابكيون في الموصل، ثم نقله الشهيد نور الدين بن الزنكي - صاحب الشام - سنة ٥٦٤هـ إلى الشام، ومنها نقله الفاطميون إلى مصر.

فكان يربى في أمهات المدن وثغور البلاد المهمة أعلى الحمام رتبة وأغلاه قيمة، وهو الحمام الرسائلي الذي يتخذه الملوك لهذه الغاية، ويعبر عنه بالهدى، وهو الذي ينقل الأخبار بسرعة، تنطلق الحمامة بالرسالة كالسهم يفارق القوس، وتشق طريقها في الفضاء الرحب فوق الأرض، والماء، والتلال، والوديان حتى تصل إلى محطة الاستقبال، وتؤدي الأمانة كاملة موفورة، وربما قطعت الحمامة في اليوم الواحد ثلاثة آلاف فرسخ، وكانت الرسائل تكتب على ورق غاية في الرقة، وتوضع في قارورة من رقيق الذهب، وتعلق تحت جنح الحمامة أو في عنقها، ثم تطلق، وكان اسم السلطان يكتب على منقار الطائر ورجله.

على أن قليلاً ما كان يستعمل في نقل الأشياء الصغيرة ليوصلها بسرعة إلى الأماكن الأخرى، وهذا ما لم نعهده له مثيلاً عند الأمم المتقدمة - غير العرب.

فمن ذلك أن «العزيز» ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ذكر لوزيره يعقوب بن كلس أنه ما رأى القراصية[1] البعلبكية وأنه يحب أن يراها، وكان بدمشق حمام من مصر وبمصر حمام من دمشق، فكتب الوزير لوقته بطاقة يأمر فيها من هو تحت أمره بدمشق أن يجمع ما بها من الحمام المصري، ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية ويرسلها إلى مصر، ففعل ذلك، فلم يمض النهار حتى حضرت تلك الحمائم بما علق عليها من القراصي، فجمعه الوزير يعقوب بن كلس، وأطلع به إلى العزيز في يومه فكان ذلك من أغرب الغرائب لديه.

* **ثانياً: سباق الغاية:** ويكون السباق لبلوغ الغاية بين المتراهنين، وهم أصحاب الحمام المتسابق، فكانوا يرسلون حمامهم مع عدلان أكْفاء أمناء - كما ورد آنفاً- إلى إحدى المدن، ويعينون يوماً لإطلاقها من تلك المدينة، وكانوا قبل إطلاقها يكتبون ورقة بها تاريخ ووقت إطلاقها، واسم صاحبها ويعلقونها في الحمام.

وفي الوقت المعين يخرج الناس إلى سطوح دورهم، ينتظرون قدوم الحمام، فقد كان يشهد هذا السباق جمّ غفير من الناس، يتمتعون بالنظر إليها إذا ما أقبلت.

وإذا ما سبقت طيور شخص فإن الناس يهنئونه بهذا، كما أن الشعراء ينظمون القصائد ويثنون على السابق وينوهون بذكر الخليفة بصفته الحامي الأكبر لهذه الألعاب.

---

(١) ثمر كالعناب شديد الحمرة إذا نضج أسود، وفيه مرارة.

الفصل السادس

الفتوة في العصر الحديث

نهض الشرق من رقاده، ونفض عنه غبار الجهل والخمول، ودهش الشرقيون من مظاهر الحضارة الغربية، فأقبلوا عليها بجد واشتياق، واقتبسوا منها كل ما اعتقدوه حسناً، وقلّدوا الغربيين في كثير من أمورهم، وكان مما اقتبسه الشرقيون عن الغربيين هو: نظام الكشف، وأدخلوه في مدارسهم، واقتصروا عليه وعلى الألعاب الرياضية في تربية النشئ، ولم يعلموا أن لهم نظاماً سامياً كان قد أسسه أجدادهم العظام، وكان هذا النظام خير مقوم لأخلاقهم ومهذب لنفوسهم، ومرب لأجسادهم ألا وهو: نظام الفتوة المندثر، ولهذا بقي نظام الفتوة مجهولاً في سائر الأقطار العربية حتى سنة ١٩٣٥م.

«وكان العراق أول من أحيا هذا النظام السامي الذي خدم الإنسانية خدمات جليلة، وذلك بفضل رجال وزارة المعارف العاملين على إحياء التراث العربي، وتجديد ما اندثر من معالمه، وأن من الأيادي البيض التي تذكر لوزارة المعارف العراقية هي إحياء هذا النظام السامي، وإعمامه على تلاميذ المدارس الثانوية والمتوسطة لينشؤا نشأة عسكرية قويمة، وأن الدكتور سامي شوكة* هو أول من عالج هذا المريض بما أوتيه من علم وحكمة، وكانت خطبته التي ألقاها على تلاميذ الصفوف

المنتهية من الثانوية المركزية ببغداد في خريف سنة ١٩٣٣م أول الأعمال التي أدت إلى إحياء نظام الفتوة، وبعثه من جديد، فإنه حث التلاميذ على التدريب العسكري، وأن العراق في هذا العصر - عصر القوة والمادة - أحوج ما يكون إلى مثل هذا النظام، وبيّن لهم أن الأمة التي لا يحسن الحفاظ على قوتها وتماسكها استضعفتها القوى المستغلة، وأرغمتها على الصغار والمذلة، وأن القوة هي التربة التي تنبت عليها بذرة الحق، والأمة التي ليست لها قوة محكومة للذل والاستعباد»[١]. فلبى مدرسو الثانوية المركزية وتلاميذ صفوفها المنتهية نداء الدكتور سامي شوكة، وأقبلوا على التدريب العسكري الذي لا تستغني عنه أي أمة عريقة في المجد والشرف، تريد أن تتبوأ مكانها تحت الشمس، وعهد أمر تدريبهم إلى ضباط من الجيش العراقي، فتدرب المدرسون والتلاميذ كجنود في ثكنات الجيش، ومارسوا استعمال الآلات الحربية، ولم تنته السنة الدراسية إلا وكان هؤلاء قد أتقنوا تدريب المشاة خير إتقان، بل إن مهارتهم في استعمال الآلات الحربية التي تمرنوا عليها كانت تفوق مهارة الجنود الذين مارسوا هذا السلك سنين، وصار كل واحد منهم جندياً مستعداً لتلبية داعي الوطن ليقوم بالخدمات التي يفرضها عليه الواجب.

كان هذا العمل المبارك أول الخطوات السديدة في سبيل إحياء نظام الفتوة المندثر، وأخذت وزارة المعارف تنظر إلى هذا الأمر بعين الاهتمام، فقر رأي رجالها العاملين سنة ١٩٣٥م على سن نظام الدعوة بنظام الفتوة، غايته إدخال التعليم العسكري إلى المدارس المتوسطة والثانوية ودور المعلمين والصناعة[٢]، و«تعويد الفتيان خشونة العيش وتحمل المشاقّ والمفاداة، وبث الروح العسكرية وصفات الرجولة

(١) أهدافنا، ص٢.

(٢) المعلم الجديد، العدد الأول، السنة الأولى، ص٢١٨.

والفروسية وما يتبعها من خصال حب النظام والطاعة وذلك بواسطة التدريب العسكري على اختلاف أنواعه[1]، وخاصة وأن الشباب في هذا العصر قد مالوا إلى الترف والنعيم والدعة، ولزموا جانب الهدوء والسكينة وعدم تحمل المشاق وإجهاد النفس، وشبابنا في العصر الحاضر هو أكثر حاجة إلى التدريب الأخلاقي مما سبقه من شباب الأجيال الماضية، وذلك لانتشار وسائل الترف والمدنية واللهو والترهل الجسمي والأخلاقي بنسبة انتشار وسائط الملاذ ومُتع الحياة غير البريئة عمّا كان عليه الوضع في الأزمنة السابقة، حيث كان الجو البيئي والمحيط العائلي والوسط الاجتماعي تسوده روح الطاعة للكبير والعطف على الصغير، والتمسك الشديد بالتقاليد الدينية الكريمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وما كانت توجد هذه المقاهي والمسارح ودور السينما وساحات الأنس والطرب التي غمرت الغرب، ففاضت علينا بسيآتها الكثيرة وحسناتها القليلة، فالبيت - ويا للأسف - أصبح في يومنا هذا لا يؤمه الأب والابن، وفي كثير من الأحيان البنت، والأم كما كان يؤمه أصحاب هؤلاء في الأجيال الماضية لتزايد نطاق العمل والأشغال من جهة، ولتوافر أماكن اللهو والتسلية خارج البيت من جهة أخرى، فالشخص الذي كان يقضي في بيته كل ليله وشطراً كبيراً من نهاره، أصبح في يومنا هذا لا يقضي فيه سوى الليل في بعض الأحيان، بل جزء من هذا الليل، ولذلك أصبح تأثير البيت التربوي في الطفل والشاب قليلاً جداً بالنسبة إلى تأثيره السابق، كما أن المحيط خارج البيت الذي كان الطفل أو الشاب لا يتلقى منه إلا ما يتماشى، وروح الدين الحنيف الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أصبح في يومنا هذا لا يتلقى منه - يا للأسف - إلا ما يتنافى في أكثر ظروفه مع هذه الأهداف الشريفة، فوجب علينا - والحالة هذه - أن

(١) أهدافنا، ص٨.

نهيئ الجو الصالح لتنمية أخلاق الرجولة الفاضلة إلى جانب تلقين العلوم والفنون، وهذا هو صورة طبق الأصل لما سارت عليه الأمم الناهضة في عصرنا هذا، سواءً الغربية منها أو الشرقية، وهذه الغاية الشريفة التي دفعت وزارة المعارف إلى سن نظام الفتوة[١]. لأن خير مدرسة لتكوين الأخلاق هي ساحات الجيش والنظم العسكرية التي تجعل من الفرد رجلاً بشجاعته ووطنيته وصراحته، مرتفعاً غن كل ما هو صغير ووضيع[٢]» ولذلك فإن نظام الفتوة من خير الأنظمة التي تعوّد الفتى على حب الطاعة والانقياد للواجب واحترام الكبير والرفق بالصغير والتضحية والمفاداة في سبيل المصلحة العامة، بل إنها تجعل من الشاب جندياً مخلصاً لبلاده، وهذا النظام هو الذي سيخلق جواً عسكرياً يسود جميع مدارسنا في الوقت الحاضر.

وهذا الجو العسكري بلباسه الخشن المنسق الموحد وبنظامه الصارم القوي وبشارات رتبه التي تجعل الصغير يحيّي الكبير ويتأدب أمامه، ويوجز الكلام في حضرته، والذي يمرنه على تلقّي الأوامر وتنفيذها بدون مناقشة ولغط واعتراض، ويجعله يتعود ويتمرن على إطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وأولي الأمر، ولو أدّت هذه الطاعة إلى تضحية حياته لخدمة أمته وبلاده، والذي سيحبب إليه العيش تحت الخيم وفوق التراب وداخل الخنادق، وأكل الطعام الخشن والتعلق بأمجاد تاريخه، والهيام بحب أمته وأوطانه وغيرها من الصفات الفاضلة النبيلة التي تجعل منه رجلاً فارساً كرجال أمتنا في أدوار تاريخنا المجيد الذي كنا فيه قدوة للعالم في المزايا العالية والفضائل الكريمة، وإني مطمئن إلى أن تنفيذ هذا النظام بدقة وحرص وإيمان سيمكن أمتنا، ومجتمعنا من

---

(١) أهدافنا، ص٧-٨.

(٢) المصدر السابق، ص٧

الارتفاع والسمو عن مستواه الحالي الذي يتخلله كثير من الضعف النفسي والتذبب الروحي، والتردد الأخلاقي إلى مستوى أعلى يسوده ضبط النفس وصلابة الأخلاق وروح العزم والإقدام[١].

عمّمت وزارة المعارف أوامرها سنة ١٩٣٥م بوجوب تدريب تلاميذ الصفوف المنتهية من الثانويات والمتوسطات ودور المعلمين ومدارس الصناعة، وزودت المناطق بالبنادق، كما استعانت بضباط من وزارة الدفاع ليتولوا أمر هذا التدريب، وانتُدب المقدم صلاح الدين الصباغ[٢] ليتولى الإشراف على هذا الأمر ووضع الخطط والمناهج التي تتبع، وأقبل التلاميذ على التدريب فأتقنوا صناعة الجندية خير إتقان، تجلى هذا في الاستعراضات التي أقاموها سنة ١٩٣٦م في معظم المدن العراقية، وكان أعظمها الاستعراض الذي جرى ببغداد تحت إشراف صاحب الجلالة المغفور له الملك غازي الأول المعظم، حيث اشتركت فيه الفتوة، وكانت مهاراتهم وإتقانهم الأعمال العسكرية موضع إعجاب الجميع.

لم تكتف وزارة المعارف بهذا بل أرادت أن تعمم هذا النظام السامي على كافة التلاميذ، فأصدرت أوامرها سنة ١٩٣٨م بوجوب ارتداء جميع تلاميذ المدارس الألبسة الترابية بدون استثناء، كما أوجبت على كل تلميذ أن يتدرب على الأعمال العسكرية، على أن يكون تدريب تلاميذ الثانويات بالأسلحة، أمّا تدريب تلاميذ المتوسطات فيكون بغير سلاح.

---

(١) أهدافنا، ص٨.

(٢) عن المقدم المذكور قام بخدمات جلية فهو الذي تولى وضع الأسس للأعمال التي يجب أن تسير عليها، وبقي يديرها حتى سنة ١٩٢٧، حيث حلّ محله من لا يقل عنه خبرة واقتداراً وهو المقدم محمود فاضل الجنابي، واهتم هذا كذلك في أمور الفتوة كثيراً ونظم شؤونها وها هي آثار مساعيه الحميدة بادية أمامنا.

وفي سنة ١٩٣٩م وسعت وزارة المعارف نطاق نظام الفتوة وجعلته يشمل المدرسين والمعلمين وكل من ينتسب إلى هذه الوزارة، لأنها رأت من الحكمة أن يكون المدرسون قدوة حسنة لتلاميذهم في مثل هذا العمل الشريف، فأوجبت على المدرسين والمعلمين أن يرتَدوا ألبسة الفتوة[١]، وأن يشتركوا في التدريب العسكري، على أنْ يكون تدريبهم بالسلاح، فأقبل المدرسون على هذا بجد واشتياق، وكانوا خير قدوة حسنة لتلاميذهم، وقد عمّ نظام الفتوة جميع من ينتسب إلى وزارة المعارف دون استثناء، وصارت المدارس أشبه ما تكون بثكنات تموج بجنودها أشبال اليوم وأبطال المستقبل، أحفاد من دوخوا العالم وثلوا عروش الظلم، وقوضوا أسس الاستعباد، ونشروا لواء العدل والعلم والهداية، فكانوا رسل السلام والإسلام.

فحين تقومون أنتم يا فتوة العراق بتمارينكم العسكرية انظروا بأبصاركم الطاهرة إلى السماء تشاهدوا أرواح خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وطارق بن زياد وعقبة بن نافع وموسى بن نصير وقتيبة بن مسلم وسعد بن أبي وقاص ترفرف فوق رؤوسكم الفتية، وسيظهر من بين صفوفكم أنتم من سيملأ فراغ هؤلاء الأجداد الذين فتحوا لنا الأرض وشادوا لنا الممالك[٢].

---

(١) انظر رتب الفتوة في الوقائع العراقية، العدد ١٦٤٤.

(٢) أهدافنا، ص٥.

الكشاف العام

المصادر والمراجع

١ ● الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ.

٢ ● الإمتاع والمؤانسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩هـ.

٣ ● الأمير أسامة بن منقذ، لباب الآداب، المطبعة الرحمانية ١٣٥٤، هـ.

٤ ● ابن الأثير، أبو الحسن علي، التاريخ الكامل، المطبعة المصرية، ١٢٩٠هـ.

٥ ● ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحفة النظار، (رحلة ابن بطوطة) المطبعة الأزهرية ١٣٤٦هـ.

٦ ● ابن بيدكين، ادريس التركماني، الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان (نسخة خطية).

٧ ● ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة، مصر ١٣٤٨هـ.

٨ ● ابن تيمية، تقي الدين أحمد، رسائل ابن تيمية، مطبعة المنارة، ١٣٤١هـ.

٩ ● ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر، ١٣٥٦هـ.

١٠ • ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، تلبيس إبليس، مطبعة النهضة، ١٩٢٨م.

١١ • ابن حبيب الحلبي، بدر الدين محمد بن حسن، نسيم الصبا، مطبعة التقدم، ١٣٢٩هـ.

١٢ • ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين بن أحمد، الإصابة في تمييز الصحابة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٥هـ.

١٣ • ابن خلكان، قاضي القضاة أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان، المطبعة الميمنية المصرية، ١٣٠٦هـ.

١٤ • ابن الساعي الخازن، أبو طالب تاج الدين علي، الجامع المختصر، المطبعة السريانية الكاثولوكية، ١٣٤٩هـ.

١٥ • ابن الشحنة، أبو الوليد محمد، روضة المناظر. . . . (على حاشية ابن الأثير المقدم ذكره).

١٦ • ابن عربي، محمد بن علي المعروف بمحيي الدين، الفتوحات المكية، طبع مصر.

١٧ • ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصر ١٣٥٠هـ.

١٨ • ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، بمصر ١٣٤٢هـ.

١٩ • ابن الفوطي، أبو الفضل عبد الرزاق، الحوادث الجامعة في المائة السابعة، مطبعة الفرات ١٣٥١هـ.

٢٠ • ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، المطبعة الإسلامية ١٣٥٣هـ.

٢١ • ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأمم، مطبعة شركة التمدن الزراعية ١٣٣٢هـ.

• ٢٢ **ابن المعتز، عبد الله أبو العباس**، ديوان ابن المعتز، مطبعة الإقبال، بيروت، ١٣٣٢هـ.

• ٢٣ **أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي**، الحماسة، مطبعة حجازي ١٣٥٧هـ.

• ٢٤ **أبو حيان التوحيدي**، المقابسات، المطبعة الرحمانية ١٣٤٧هـ.

• ٢٥ **أبو زكريا الأزدي**، تاريخ الموصل، (نسخة منقولة بالفتوغراف).

• ٢٦ **أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل**، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية ١٣٢٣هـ.

• ٢٧ **أبو الفرج الأصفهاني**، الأغاني، مطبعة التقدم ١٣٢٣هـ.

• ٢٨ **أحمد أمين (الأستاذ في الجامعة المصرية)** محاضرة عن الفتوة، نسخة خطية (نسخها الفاضل محمد شيت الحياوي بإذن من صاحبها وأرسلها لنا وهي: والحجة والبرهان).

• ٢٩ **البرقوقي، محمد عاطف**، قصص العلماء والمخترعين، مطبعة عيسى البابي، ١٣٥٨هـ.

• ٣٠ **البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد**، الجماهر في معرفة الجواهر، نشرته الجمعية العثمانية في حيدر أباد.

• ٣١ **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل**، ثمار القلوب في معرفة الخاص والمنسوب مصر ١٣٢٦هـ.

• ٣٢ **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر**، البخلاء، المطبعة الخيرية ١٣٢٥هـ.

• ٣٣ **الجاحظ**، البيان والتبيين، المطبعة التجارية ١٣٤٧هـ.

• ٣٤ **الجاحظ**، كتاب الحيوان، المطبعة الحميدية، ١٣٢٣هـ.

• ٣٥ **الجرجاني، علي بن محمد**، تعريفات الجرجاني، استانبول ١٣٢٧هـ.

٣٦ ● **جرجي زيدان، (مؤسس الهلال)**، تاريخ أدبيات اللغة العربية، مطبعة الهلال ١٩١١م.

٣٧ ● **جرجي زيدان**، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال ١٩١٤م.

٣٨ ● **الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس**، المكارم والمفاخر، مصر ١٣٥٤هـ.

٣٩ ● دائرة المعارف الإسلامية.

٤٠ ● **داود الأنطاكي**، تذكرة داود الأنطاكي، مطبعة حجازي ١٣٥٤هـ.

٤١ ● **الدميري، كمال الدين محمد بن موسى**، حياة الحيوان الكبرى، مصر ١٢٧٨هـ.

٤٢ ● **الدكتور بشر فارس**، مباحث عربية، مطبعة المعارف، ١٩٣٩م.

٤٣ ● **الدكتور سامي شوكة**، أهدافنا، مطبعة التفيض ١٩٣٩م.

٤٤ ● خاص الخاص، مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ.

٤٥ ● **السيد المرتضى، الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر أحمد**، أمالي السيد المرتضى، مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ.

٤٦ ● **الصفدي، صلاح الدين**، نكت الهيمان في نكت العميان، مصر ١٣٢٩هـ.

٤٧ ● **الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى.**

* الأوراق، أشعار أولاد الخلفاء، مصر ١٣٥٥هـ.
* الأوراق، أخبار الراضي والمتقي، ١٩٣٥م.
* الأوراق، أخبار الشعراء، ١٩٣٤م

٤٨ ● **الطبري، أبو جعفر محمد بن حرير**، أخبار الرسل والملوك، المطبعة الحسينية المصرية.

٤٩ • **الغزالي**، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، المطبعة العثمانية المصرية، ١٣٥٢هـ.

٥٠ • **الفخري**، محمد بن علي بن طباطبا، الآداب السلطانية، المطبعة الرحمانية ١٣٣٩هـ.

٥١ • **القرشي**، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، المطبعة الرحمانية ١٣٤٥هـ.

٥٢ • **القشيري**، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية، مطبعة التقدم العلمية ١٣١٩هـ.

٥٣ • **القلقشندي**، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب.

٥٤ • **المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٥هـ.

٥٥ • **المتنبي**، أبو الطيب أحمد بن محمد، ديوان المتنبي، المطبعة الرحمانية، ١٣٤٨هـ.

٥٦ • مجلة المعلم الجديد.

٥٧ • **المحب الطبري**، أبو جعفر أحمد، الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة، الحسينية ١٣٢٧هـ.

٥٨ • **المسعودي**، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المطبعة البهية، ١٣٤٦هـ.

٥٩ • **ملحق دائرة المعارف الإسلامية**.

٦٠ • **المقريزي**، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، مصر ١٩٣٤م.

٦١ • مناقب الإمام أحمد بن حنبل، مطبعة السعادة، ١٣٤٩هـ.

٦٢ ● النواجي، شمس الدين محمد بن الحسن، حلبة الكميت، المكتبة العلائية، ١٣٥٧هـ.

٦٣ ● النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب، مطبعة دار الكتب المصرية.

سيرة المؤلف

سعيد الديوه جي

هو سعيد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن سلطان ابن محمد بن مصطفى بن عبدالله بن جاسم بن طاهر بن محمد العكلي، وتنسب أسرته إلى قبيلة الجبور من عشيرة البو نجاد من فرع يقال له العكلي.

ولد في الموصل سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٢م وتوفي سنة ٢٠٠٠م وأكمل دراسته الأولية والثانوية فيها.

وتتلمذ على يد عمه الشيخ عثمان الديوه چي ووالده الشيخ أحمد الديوه چي اللذين كان لهما مجالس علم وفقه في دارهما، ثمّ التحق بدار المعلمين العالية في بغداد وتخرج منها سنة ١٩٣١م، واشتغل في التعليم والتدريس، ثمّ نقل إلى مديرية الآثار العامة في عام ١٩٥١م بعنوان مدير الأبحاث الإسلامية وعمل كأول مدير لمتحف الموصل منذ عام ١٩٥٢م لغاية إحالته على التقاعد عام ١٩٦٨م بعد خدمة تجاوزت الستة والثلاثين عاما، عكف فيها على المتابعة وإصدار الكتب والمقالات، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٥م.

● مؤلفاته:

١ ● الفتوة في الإسلام، الموصل، ١٩٤٠م، ١٩٤٥م.

٢ ● الأمير خالد بن يزيد، دمشق، ١٩٥٢م.

٣ ● بيت الحكمة، الموصل، ١٩٥٥م، وأعيد طبعه في الموصل عام ١٩٧٢م.

٤ ● الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام، الموصل، ١٩٥٥م.

٥ ● عقائل قريش، القاهرة، ١٩٥٤م، وأعيد طبعه في الموصل عام ١٩٥٥م.

٦ ● دليل المعرض الحيواني وسباق الخيل الذي أقيم في الموصل عام ١٩٥٥م.

٧ ● الموصل في العهد الأتابكي، بغداد، ١٩٥٥م.

٨ ● جوامع الموصل في مختلف العصور، بغداد، ١٩٦٣م.

٩ ● نشرة تاريخية عن مدينة الموصل، طبعتها الجمعية الطبية العراقية في الموصل، ١٩٦٤م.

١٠ ● الموصل أم الربيعين، بغداد، ١٩٦٥م.

١١ ● دور العلاج والرعاية في الإسلام، الموصل، ١٩٦٦م.

١٢ ● أشعار الترقيص عند العرب، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠م، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

١٣ ● أعلام الصناع المواصلة، الموصل، ١٩٧٠م.

١٤ • **مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل**، المجمع العلمي الثقافي، بغداد، ١٩٦٧م.

١٥ • **مخطوطات خزانة**، سعيد الديوه چي، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٦ • **اليزيدية**، الموصل، ١٩٧٣م، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٧ • **تقاليد الزواج في الموصل**، الموصل، ١٩٧٥م.

١٨ • **بحث في تراث الموصل**، الموصل، ١٩٨٢م.

١٩ • **تاريخ الموصل**، الجزء الأول، نشره المجمع العلمي العراقي، الموصل، ١٩٨٢م.

٢٠ • **تاريخ الموصل**، الجزء الثاني، الموصل، ٢٠٠٠م.

٢١ • **التربية والتعليم في الإسلام**، وزارة الأوقاف العراقية، الموصل، ١٩٨٢م.

٢٢ • **صناعة النسيج في الموصل**، أصدرته المنشأة العامة للغزل والنسيج في الموصل، ١٩٨٧م.

٢٣ • **الموجز في الطب الإسلامي**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والنشر، الكويت، ١٩٨٩م.

• **الكتب التي حققّها:**

١ • منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء لياسين بن خيرالله الخطيب العمري، ١٩٥٥م، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م.

٢ • مجموع الكتابات المحررة في أبنية الموصل لنيقولا سيوفي، بغداد، ١٩٥٦م.

٣ ● ملحمة الموصل للشيخ فتح الله القادري، بغداد، ١٩٦٥م.

٤ ● ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء لأحمد بن الخياط الموصلي، الموصل، ١٩٦٦م.

٥ ● أرجوزة السيد خليل البصير، نشرها المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٧م.

وكتب في عشرات المجلات العلمية في العراق وخارجه، وترجمت كتبه إلى بعض لغات العالم وبخاصة تلك التي تتناول الجوانب المتعلقة بالتربية والتعليم في الإسلام، كما ساهم في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية داخل العراق وخارجه، ونال العديد من التكريمات المحلية والعالمية، وكان آخر ما أسهم به هو المشاركة في الموسوعة الموسومة The Dictionary of Art على طلب من ناشرها البريطاني .Macmillan Pub وكتب فيها بحثاً عن مدينة الموصل.

● **كتب معدّة للطبع:**

١ ● شعر الجاحظ

٢ ● عرب وأكراد

٣ ● القبائل العربية التي سكنت الموصل

٤ ● دور العلم في الموصل

٥ ● موسوعة التراث الموصلية

٦ ● الأعمال الكاملة لمقالات الديوه چي

فهرس المحتويات